هبه عبدالواجد لبيب

(L’Egrégore اليغريغور)

(مجموعة قصصية)

...

ابــن القمــر

الذئب سكولهو هو الذي سيفزع القمر.
ليطير إلى غابة المحن
والذئب هاتي، قريب الذئب فنرير
هو الذي سيلاحق الشمس

"من الأسطورة الجرمانية" (الزعيم إيدا)

-1-

في وسط العتمة والظلام القاحل، بين أشجار منتزة بافاريا الوطني بألمانيا، وضوء القمر الدموي الخافت الذي تسلل شعاعه بصعوبة عبر أغصان الشجر الكثيفة، كنت أمسك بلفافة تبغ بين أصابعي، ويلتف حولي أصدقائي، يلقون النكات ثم يضحكون بصوت عال عليها، كدت أملأ كأسي ثانية حتي لاحظت اختفاء (هاني)، قاطعت ضحكاتهم، واعتدلت واقفًا أنفِّض التراب من على سروالي، نظرت يمينًا ويسارًا

ثم سألتهم في قلق «يا شباب، هل رأيتم (هاني)؟ (لوكاس) هل رأيته؟»

أشار بيده أنه لم يره، كان نصف غائب عن الوعي، جميعنا كنا كذلك، كنا منتشين، لذلك لم ألحظ غياب (هاني)، ولا أعرف كم مر من الوقت على اختفائه، صحت بصوت مرتفع وأنا أزعق باسمه

«(هااااااني)»

أمسكت بأحد المصابيح الكهربائية المتراصة على الأرض، وجريت مسرعًا أشق الغابة بحثًا عنه، لم يتبعني أحد بالطبع، وكلما ابتعدت تخافتت صوت ضحكاتهم الدائخة.

تهشمت وريقات الشجر اليابسة من تحت قدمي وامتزج عواء الريح الغاضبة بعواء الحيوانات التي احتلت الغابة، وكأن الحيوانات تعلم أنها تعتلي عرش ذلك المكان المظلم، فلا حياة لبشريّ إذا دنس قدسية عرشها

«(هاااني)»

فكرت في التراجع عدة مرات، لا يهمني أمره، لطالما كرهته وتمنيت موته، ولكن أنا مجبر بحمايته

«(هااني)»

انعطفت يمينا ناحية صوت صادر من خلف شجرة عملاقة كانت تشبه الوحش الأسطوري، ازدادت ظلال المساء عمقًا، فسلَّطتُّ مصباحي تجاه الصوت وتحركت باتجاهه، الأشجار منتصبة أسفل دماء القمر تبدو كأنها أشباح منسية لجنود أغرقهم نزيف الحرب، مما جعل قلبي يدمدم من الخوف

«تبًا لك يا (هاني)، لقد بليت بك، أين ذهبت؟»

خطوتُ بضع خطوات وأنا أسمع حفيف الأشجار وصوت بكاء خافت، فوجدته جالس على الأرض مسندًا ظهره إلى الشجرة واضعًا رأسه بين فخذيه ويبكي في صمت، سلَّطتُّ ضوء المصباح على وجهه قاصدًا مضايقته، وصرخت في وجهه

«لماذا ابتعدت عني يا غبي؟ هيا بنا نعود»

حدق إليّ والرعب قد غطى على ملامحه، وأردف بكلمات عربية غير مفهومة

«وحش، ضخم» كان يشير إلى ما وراء ظهري فجذبته بقوة من ذراعه وسحبته ورائي كحيوان ضعيف وأنا أردد بسخرية أقلد صوته وطريقة كلامه الغريبة

«ليس هناك وحش أيها الغبي، المسخ الوحيد الذي رأيته طوال حياتي هو أنت»
نظر لأسفل في انكسار، لطالما تعمدت توبيخه منذ أن وجداه والداي تائه في الطريق منذ ست سنوات.

انداحت ذكريات الماضي داخل رأسي، كان يومًا ممطرًا وقتها، الثلج كاد يحطم زجاج سيارتنا، وافترش اللون الأبيض الطريق والأشجار أمامنا كأننا غارقين داخل سحابة بيضاء ضخمة، وكأن الشمس قررت الهرب نحو قبو الليل دون رجعة فاختفى الدفء والنور وحل بدلًا منهما البرد
والظلام، و(هاني) كان جالسًا بجانب الطريق يومها، ضامّ يديه إلى صدره ليحتمي من البرد، أوقف أبي سيارته ونزلت أمي لتتفقَّده، بخار أبيض يخرج من فمها كلما تنفستْ أو تكلمتْ، الصقيع يبدو كروح شريرة احتلت أجسادنا جميعًا، انحنتْ وهي تربت على كتفه وتسأله في اهتمام عن مكان بيته، رد بالألمانية «لا أعرف»
«أين أمك؟»

«لا أعرف»
«أبوك؟!»
«لا أعرف»
نظرت أمي في ريب إلى أبي والذي كان قد خرج من سيارته يتفقد هذا الطفل الغريب، ثم سألته
«ما اسمك؟»
«(هاتي)»
«هل رأيتك من قبل يا (هاتي)؟!»
«.....» نظر تجاهي ولم يرد
«حسنًا، تعالى يابني، ادخل السيارة، واحتمي من البرد» دلفوا إلى السيارة جميعًا، وجلس (هاتي) بجواري، كنت حينها في الثانية عشرة من عمري أهرب من طفولتي لأقتحم عالم المراهقة بقوة تاركًا خلفي بقايا أشلاء عالم البراءة، أما هو فيبدو من حجم جسده المريب أنه يصغرني بعامين، نظرت إليه باشمئزاز، وابتعدت عنه كأني أفر من مرض قاتل، نظرت بجانب عيني إليه، نظرات سحقته تحت قدمي، تفحصته جيدًا، لرأسه الكبير عن جسده كرسوم الكاريكاتير، ولعينيه الزرقاوين وداخلهما نقطة سوداء مريبة، وبشرة بيضاء شاحبة تشبه الثلج

الذي يتساقط حولنا إذا اختلط بالتراب، وأنف كبير تتسع فتحتي منخاره كلما يتنفس حتى كاد يبتلع الهواء كله داخل رئتيه. أنا أتذكره، رأيته مرارًا، صادفته في النادي وأمام المدرسة وفي مركز التسوق، وفي كل مكان تقريبًا، هذا الشكل المريب صعب نسيانه، خاصة أنه كان في معظم الأحيان يحدق إلي بنظرات خاوية، كنت اشعر أنه يتبعني كالظل، كأن هناك خيوط خفية تربطنا سويًا، ربما صدفة، هكذا بررت لنفسي، ولذلك لم أجد داع لذكر شكوكي أمامهما. كنت مازلت أنظر إليه بنظرات متعالية، وعندما فرغت وتقززت منه كقطعة لحم متعفنة نفذت رائحتها، قلت بصوت عال موجهًا حديثي لأمي

«هل سيمكث هذا معنا الليلة؟!» قلتها وأنا أشير بسبابتي إليه في اشمئزاز

«(ساهر)!! لا تتكلم بهذه الطريقة، إنه ضيفنا حتى نجد له أهله»

«ضيفنا؟! هل تمزحين؟! لن أعيش في نفس البيت مع هذا المسخ»

«توقف عن فظاظتك هذه، كف عن التنمر ولو للحظات، نحن من يقرر هنا» قالها أبي وهو ينظر إليّ عبر المرآة في غضب، ولكني استمريت في اعتراضاتي غير آبهًا بأرائهم
«إنه لا يفهم إلا الألمانية، هذا إذا كان يفهم من الأساس، وأنا أتكلم بالعربية، فلن أجرح مشاعر هذا الكائن الرقيقة» قلتها في سخرية
ولكن قد لاح الضيق على ملامح (هاتي)، ربما كنت أتحدث بلغة أخرى ولكن سياط كلماتي نزل عليه بقوة فأوجعه، فلم يحتج إلى ترجمة.

*****

عدت بذاكرتي للغابة التي تبتلعنا، مشيت عائد متجه إلى أصدقائي، لا صوت إلا صفير النسور المحلقة في السماء الكالحة، أقترب أكثر من موقع أصدقائي، أمشي متوجس فلا أسمع لهم حسيس، تتبعت الضوء الصادر من مصابيحهم الملقاة بإهمال بجانبهم والذي تسلل من خلل الأشجار، حتى وجدتهم أشلاء، قطع

متناثرة ودماء ارتوت منها الأشجار المتراصة، تسمرت في مكاني، قدماي تهتز تعلن انهزامي في هذا المشهد المريع، وقلبي يريد شق ممرًا للهروب خارج صدري، فسقطت على الأرض، ركزت بركبتي بجانب أشلاء لا أعرف لمن تنتمي، وتلطخت بدمائهم جميعًا والتي اختلطت بين قدمي، توقف عقلي عن التفكير، أمسكت بيد (هاني) الذي دار برأسه وخبأه بيديه ليمنع نفسه من النظر، وقررت الركض بعد أن عاود عقلي للعمل، فالذي فعل بهم هذا ليس ببشر، وليس بحيوان طبيعي، إنه حيوان أسطوري بالتأكيد، ركضت قاصدًا المدينة، كان (هاني) بطيء جدًا، قدماه المفلطحة تتلوى أسفل منه، يجري مثل بطة يهشُّها صاحبها لتأكل فتات خبزه، أدركتُ أنه سيكون عقبة لي، فكرت لثانية، ثم حملته بين ذراعي النحيفتين، كنت أسمع صوت الرعب قادمًا خلفنا، هناك ضوضاء مندفعة تتدفق عبر فروع الأشجار، فيرتجف قلبي، كاد (هاني) أن يرفع رأسه وينظر خلفنا، فصرخت في وجهه وأنا أوبخه «لا تنظر أيها الغبي وإلا تركتك عالقا في غصن الشجرة هنا، أغمض عينيك وادفن رأسك داخل صدري»

ظننت أن عدم النظر لهذا الشيء ربما سيبعده، سيجعله يتبخر كقطرات الندى التي تقتلها شمس الصباح، شعرت بحفيف الأشجار خلفي، وأنفاس كريهة كادت تلحف ظهري من سخونتها، أدركت أنه يقترب، فزدت من سرعتي وأخذت منحنيات وسط الأشجار أملت أن توصلني للبر بعيدًا عن الغابة.
نظرت خلفي لم أستطع تمييز ملامحه، كان غارق في الظلام، ولكن عيناه تلمعان كجمرتين تسبحان في الهواء، فارتجفت يدي التي تحمل (هاني)، وغطت رائحة الخوف على رائحة عطري، ارتطمت أنظاري بالأشجار الكثيفة المتشابكة فوجدت ضوء أعمدة الإنارة يحاول جاهد أن يشق طريقه بين أغصانها، إننا نقترب من المدينة، جررت قدمي وتتبعت هذا الضوء وأنا ألتفت خلفي وعرقي يتطاير على وجه (هاني)، ولكني تعثرت، ارتطم وجهي بالأرض فتعفر بالتراب، و(هاني) قد سقط بجواري ينزف من رأسه من أثر السقوط وقد غاب عن الوعي، التفتُّ لأرى ضوء المدينة أمامي، وصوت الكائن يقترب من خلفي ،بضع خطوات تفصلني عن البر، عن الحياة، وبضع خطوات أخرى تفصلني عن الموت، فكرت

للحظة لأنجو من هذا المأزق، سحبت مصباحي اليدوي وسلطته في جميع الأنحاء كنوع من أنواع التشتيت، سمعت زمجرة قوية فانتهزتُ هذه الفرصة وركضتُ مسرع تجاه أنوار الحياة وتركتهما خلفي، آملًا أن لا يلحق بي، تركت هذا الكائن الأسطوري، ومعه (هاني)، قدمته طعماً له ولذتُ فرارًا.

ألقيت بجسدي الهزيل على الأرض، كانت أنفاسي متلاحقة تحاول الفرار من جوفي، وقلبي يدمدم من الخوف، غبت عن الوعي للحظات، حلمت فيهم بماضيّ الأليم، عندما أصبح (هاتي) أخا لي بعد أن تبناه أبي وأمي رسميًا، غيَّرا اسمه من (هاتي) إلى (هاني)، كانا سعيدين جدًا هذا اليوم، أما أنا فكنت غاضبًا كالجمر المشتعل، وكنت أخافه، رغم أنه صغير الحجم ولكنه كان مريب، كان أحيانًا يظل في غرفته لأيام مستيقظًا دون نوم، وأحيان أخرى أجده في غرفتي يقف أمامي دون حراك، ومهما سألته عن سبب وجوده لا يجيب، الصمت لغته الوحيدة، كان يضعف يومًا بعد يوم، عقله كاد أن يتبخر من داخل

رأسه، يزداد غباءً ويزداد غموضًا، كنت أرى الندم والخوف يسكنان مقلتي أبي وأمي، أشعر بأنهما تمنو لو تخلصوا منه، أشعر بخوف غير مبرر يسكن قلوبهم، ولكنهما كانا يكتمان مشاعرهما في وجودنا.
ذات يوم سمعتهما يتحدثان، كانا يجلسان حول طاولة الطعام، لم يشعرا بوجودي في بادئ الأمر، قالت أمي «ماذا نفعل يا (سعيد)؟ هل أخطأنا عندما تبنيناه؟ هل نتركه، ونتخلى عنه؟!»
رد عليها أبي وهو يمسك كوب الشاي الساخن بين راحتيه دون أن يشرب منه «لا أعرف يا (ليلى)، ربما هذا الحل الوحيد، ربما كان يجب أن نتمهل، ولكنه من العائلة، انه ابننا ويجب أن نتعامل على هذا الأساس»
«ولكنّي أخافه يا (سعيد)، لا أعرف كيف أصف لك شعوري هذا، أشعر بأنني أختنق في وجوده»
«(ساهر)؟! ماذا تفعل عندك؟» قالها أبي بعدما لاحظني أقف عند باب الغرفة، اقتربت وأنا أجيبه «منذ لحظات، و... سمعتكما، وأنا أيضا أخافه يا أبي، يجب أن نتخلص منه، إنه مسخ، لعنة، هذا الشيء مكانه الغابات وليس البيوت»

«هذا ليس من شأنك، لا تتدخل في هذا الأمر»
«كيف هذا؟ أنا أعيش معكما في هذا البيت مثلك يا أبي، لو حدث مكروه سيحدث لنا جميعا، لك ولأمي ولي أيضًا، يكفي أنكما السبب فيما يحدث، أنتما من قررتما تبني هذا الشيء رغم اعتراضاتي»
فضَّلت أمي الصمت، لم تتفوه وكأن الكلمات تخنقها، فتركتنا ودخلت غرفتها.

******

استيقظت من إغمائي، نفضت عني ذكرياتي، فأنا مازلت هنا أمام الغابة، ورائحة الدم على ثيابي تثير غثياني، ظهري ملامس للأرض وعيناي تنظران للسماء، للقمر الواسع القاني الكئيب، كان يبدو كأنه ابتلع السماء توًا فتضرَّج بحمرة دمائها، أسندت يدي على الأرض واعتدلت قائمًا، كنت أترنح فاقتراب سكرات الموت كان ينهش روحي، بحثت عن هاتفي المحمول ولكني لم أجده، ربما سقط مني. ألقيت نظرة أخيرة على الغابة، انتظرت لدقائق ربما خرج (هاني) راكض بقدميه الغريبتين منها، حتى يئست،

فرحلت متجها لقسم الشرطة، عيناي زائغة تمنيت لو أنني أعيش في كابوس عوضًا عن هذا الذي مررت به، عندما رأوني رجال الشرطة فزعوا، الدماء تغرق ملابسي، وجسدي ينتفض كمن تعرض لصدمة كهربائية، أجلسوني على كرسي وقصصت لهم ما مررت به، نظروا لبعضهم بعضًا غير مصدقين ما أقول، حاولوا تهدئتي بشراب ساخن لم أستسغ طعمه، وفي هذه الأثناء كانت سيارة الشرطة تمشِّط المكان الذي وصفته لهم، تركوني وحدي لدقائق ربما لساعات، دخل عليَّ شرطيّ آخر يسجل بياناتي للمرة العاشرة تقريبًا، سألني في شك

«اسمك؟»

«(ساهر)، اسمي (ساهر سعيد البنهاوي)، لقد أجبت هذه الأسئلة مرارًا، هلَّا تركتموني أخرج؟!»

لم يعبأ بي الشرطي، كأنه لم يسمعني، فارتدى قناعه الصارم ثم رمقني بنظرة باردة قبل أن يسألني

«تاريخ ميلادك؟»

نفثت الهواء في ضيق وأنا أردد

« يناير 2001»

«جنسيتك؟»

«ألماني، ولدتُ هنا وأبي معه الجنسية الألمانية أيضًا»
«أين أوراقك الثبوتية؟!»
«سقطت مني في الغابة»
فركت عيني من التعب ومازال الشرطي يتابع أسألته
«كم عدد الذين كانوا معك بالغابة؟»
تنهدت بصوت مسموع ثم أجبت
«كنا خمسة، بالإضافة إلى (هاني) أخي بالتبني»
تابعتُ قائلًا
«لقد أجبتُ على كل هذه الأسئلة من قبل، أنا متعب جدًا»
دوَّن إجاباتي وسألني
«هل هناك أحياء منهم؟!»
«لا أعرف، الجثث ممزقة ولم يتبق منها شيء، أتمنى أن يكون بينهم أحياء» ألجمت دمعة كانت وُلدت داخل مقلتي بعدما استرجعت هذا المشهد من عقلي
«هل رأيت ذلك الوحش المفترس كما تزعم؟»
«نعم، أقصد لا، أقصد أنه كان يلاحقني شعرت بذلك ولكن الظلام كان دامسًا، كانت ليلة خسوف القمر

بحق الإله، شعرت بأنفاسه، رأيت عينيه الملتهبتين، والأهم أنني رأيت أصدقائي وقد تم تمزيق جثثهم»
نظر إلي في شك
«أين أهلك؟»
صَمتُّ للحظات، احتبس الحزن داخل صدري فاختنقت، غصَّ حلقي فجاوبت
«ماتا في حادث» نظر إلي من خلف عويناته ثم استرسلتُ قائلًا «انتحرا»
وردته مكالمة هاتفية قاطعت حديثنا، كان يهمهم بصوت مسموع وبعدما انتهى تبدلت نظراته الفولاذية ونظر لي في حزن قائلًا
«لقد وجدوا جثث أصدقائك بالفعل كما وصفت، التشريح الأولي بموقع الحادث يشير أن حيوان مفترس قد التهمهم، ربما دب ضخم، عددهم أربعة، وللأسف لا أثر لأخيك (هاني) على الإطلاق، ولكننا سنبحث مجددًا» تجمعت دموعي ولمعت مقلتي، شعرت كأنني أقف أمام بقايا أصدقائي من جديد، صور الأطراف المبتورة تتدفق داخل عقلي، ومازالت دمائهم على جسدي تؤكد أن ما حدث لهم حقيقة وليس وهم.

«يمكنك التحدث مع طبيب نفسي، سيؤثر هذا الحادث عليك، أنا أنصح بالدكتور (بول سباستيان)» أعطاني البطاقة الخاصة بالطبيب وأشار على رقم الهاتف المدون أسفل الاسم وأردف
«احجز معه ميعاد، سأتحدث معه بشأنك، وآسف لخسارتك»
قمت متعبًا، اتجهت إلى الباب، وأصرَّ شرطي آخر على توصيلي لبيتي، كان ينظر لي بين الحين والآخر طوال الطريق، أوصلني للبيت، فنزلت من سيارته، مشوش الذهن، القمر إلى زوال ولكنه يرتدي ثوبه الأبيض من جديد، ويتوارى خجلًا بين ثغرات الغيوم التي تتوج السماء، صعدت إلى الشقة وأنا أجرُّ قدما تلو الأخرى، كنت أتساءل لم تركاني والِدَيّ وحيدًا هكذا، أتذكر يوم حادث انتحارهما، صيف العام الماضي، كانت الشمس في هذا اليوم غاضبة، تستقر في كبد السماء، تنفث لهيبها حتى كاد أن يحرقنا، هربتْ السحب واختبأت فبدت السماء كمعركة مفتوحة للشمس وحدها، عدت من المدرسة مبتل بالعرق، كنت أفكر في يوم رائق داخل حوض الاستحمام والماء الرطب يغسل الشمس من على

ثنايا جسدي ورائحة اللافندر تهدئني، فتحت الشقة فوجدت (هاني) جالس على الأريكة متسمر يشاهد التلفاز، كنت سأجلس بجواره حتى لاحظت بقع حمراء تكسو حذائه، ابتلعت ريقي فسألته في قلق «(هاني)، أين بابا وماما؟»

لم يلتفت، ولم يرد، كان أمامه كوب عصير ليمون مثلج، وعلامات دامية تحيط بالكوب، رفع الكوب إلى فمه، ورشف رشفة وابتلع الصمت معه.

تتبعت أثر الدماء حتى وصلتُ إلى المطبخ، وجدتهما مقتولين، وأمي ملقية على الأرض وبقعة دماء داكنة تتسع وتخرج من رأسها، وعلى المنضدة أمامهما كوبين من عصير الليمون المثلج، لم أتمالك نفسي حينها، خرجت ولكمت (هاني) على وجهه وصرخت فيه

«ماذا فعلت أيها المسخ، هل قتلتهما، سأنتقم، أقسم لك سأنتقم»

هاتفت الشرطة والتي جاءت سريعًا، كنت أقف على حافة الإنهيار، أخذوا أقوالي ووضعوني أنا و(هاني) تحت الملاحظة، أخرجوني بعدها بساعات قليلة، فلقد تأكدوا أنني كنت بالمدرسة وقت موتهما، أما (هاني)

فلم يجب أسئلتهم، ظل الصمت هو لغته الوحيدة كعادته، فعدتُ إلى البيت وحدي آملًا أن لا أرى هذا الكائن المريب ثانية، تحدث المصائب في وجوده، تمنيت لو مات بدلًا منهما.

مازلت غير قادر على التنفس بشكل طبيعي، الصورة الأخيرة لأصدقائي قبيل أن أتركهم، تُرى هل فزعوا؟ هل شعروا بالألم، هل رأوا عينا الكائن الشيطانية؟! أم حدث كل هذا بغتة وماتوا في سلام؟ صعدت درجة أخرى من السلم قاصدًا الشقة، اللمبة فوق مني تومض وترتعش بشكل غريب، شعرت بوخزة أسفل رأسي تخبرني أنني في خطر، تخبرني أنني يجب أن أتريث، صعدت درجات السلم ببطء كما لو أن روحي تتشبث بكاهلي، لاحظت وجود أثار أقدام ملوثة بالطين تملأ السلم وتنتهي عند باب الشقة، رفعت قصيص الزهور الذي أضع تحته مفتاح الشقة، وانتشلت المفتاح، يدي ترتجف، أمسكتُ بيدي الأخرى يدي التي تمسك المفتاح لكي تتمالك وتكف عن ارتعاشاتها، أدخلت المفتاح في مكانه ثم أدرته وانفتح الباب.

الضوء خافت، الصباح قد فض غشاء الظلام لتوه فتسللت بكارة نوره إلى الصالة، يتبدَّى ظلٌّ أريكة وطاولة عليها بقايا طعام اليوم الماضي، وكرسي

صغير (هاتي) يجلس عليه بعيدًا عن الضوء في الركن المقابل لغرفته، الوحل يغطي جسده بالكامل وبعض الدماء التي جفت على ملابسه، ارتعش قلبي لما رأيته وضاق صدري، انعقد لساني للحظات ثم سألته

«كيف نجوت؟»

هز كتفيه دون أن تتحرك شفتاه، والوجوم يعلو وجهه، تركته دون أن أحصل على إجابة كما توقعت ودخلت الحمام، خلعت ملابسي ووقفت عند حوض الاستحمام وتركت تدفق الماء الدافئ ينظف أوساخي، تجمعت الأتربة والدم تحت قدمي، بدت لي كأني غارق في بركة مظلمة، أغمضت عيني وتركت الماء ينساب على جسدي العاري.

ومضات تقتحم عقلي، تخيلت أصدقائي، تخيلت ذعرهم، والهلع قد جعل عينا (لوكاس) تجحظ حتى كادت أن تخرج من محجريهما، تخيلت محاولات (توماس) و(أندريه) الفاشلة في الهرب، صوت مضغ أحشائهم يطن في أذني، وتدفق الدماء بين أنيابه،

نفضتُ هذه الصور المرعبة عن عقلي ثم فكرت في البلاء الذي يجلس بالخارج، فكرت كيف بليت به، كيف اقتحم حياتنا، كيف لا أستطيع التخلص منه، يوم أخبرني الشرطي أن وفاة والداي كان حادث انتحار، جرعة زائدة من مضادات الاكتئاب والمهدئات والمسكنات، مزيج قاتل، ابتلعا الموت مع عصير الليمون الذي أعدته أمي قبيل موتها، أثار بصماتهما تملأ أوعية الأدوية، وأمي بعدما ابتلعت هذا المزيج غفت قبيل موتها، وسقطت على الأرض سقطة عنيفة جعلت الدماء تتفجر من رأسها، هذا بالإضافة إلى رسالة انتحارهما التي وجدتها الشرطة أيضًا، وأن (هاتي) ليس له دخل في موتهما، هو فقط غريب الأطوار، عقله قد توقف نموه منذ زمن، طردته من المنزل يومها فلم يعد لي حاجة له، ولكنه ظل طوال اليوم قابعًا أمام المنزل، حضر المحامي ليلًا وطلب دخول (هاتي) للبيت واستماعه للوصية، تعجبت من طلبه، فتجمعنا حول المحامي نحملق فيه، ففتح حقيبته وأخرج منها الأوراق وبدأ يصوغ الميراث، بكلمات قانونية لم أستوعبها في بداية الأمر، أو ربما من الصدمة، فسألته أستفهمه وقد عقدت حاجبي

«لا أفهم، هل تعني أنهم تركوا ميراثًا لي ولـ(هاتي) وبشروط؟»
«الوصية واضحة يا سيد (ساهر)، نصف الميراث لك ونصفه الآخر لـ(هاتي)، يحق لكما مبلغ شهري محدد بالوصية، ويمنع كل منكما في التصرف في هذا الميراث بالكامل إلا بعد أن يتم (هاتي) خمسة وعشرون عامًا»
ضحكت بجنون، ضحكات عالية، ثم ضربت الطاولة بقبضة يدي وقلت غاضبًا
«خمسة ماذا؟!هل تمزح؟! وما ذنبي؟!»
«أنا لا أمزح، وهذه وصية مكتوبة، والشرط الآخر هو أن تحمي (هاتي) لكي لا يصيبه مكروه، (هاتي) يجب أن يلازمك في كل مكان عدا غرفتك والحمام وبعض الأماكن محددة بالوصية»
«هذا سجن، لقد جنُّوا حتمًا، لا عجب أنهما انتحرا، تبًا لهما، تبًا لكما، تبًا لكم جميعًا» وقفت غاضبًا ثم ركلت الكرسي الذي كنت أجلس عليه بقدمي فارتطم بالأرض بقوة وأصدر صوت عالي، فأجفل (هاتي)، ثم قلت وأنا أشير له

«لماذا يكون هو محور الميراث؟ إنه حتى ليس ابنهما، أنا ابنهما، أما هو فلقد تبنوه»
أخرج المحامي ورقة إضافية من حقيبته، وقال لي في هدوء مستفز
«هذا خطاب تركته أمك لك، أعتقد أنه سيوضِّح أشياء كثيرة»
أخذت منه الخطاب، وفتحته وبدأت قراءته
«عزيزي (ساهر)، كان من الصعب عليّ كتابة هذا الخطاب، خاصة أنه آخر تواصل بيني وبينك، أجد الكلمات تهرب بعيدًا، ولكني سأمسك ببعضها لكي أستطيع صياغة هذا الخبر. أنا و(سعيد) أبوك لا ننجب، فقررنا أن نتبنى طفلًا يؤنس وحدتنا، تم ترشيح سيدة فقيرة حامل تريد بيع ابنها، تحدثنا معها، أخبرتنا أن الأب اختفى منذ زمن وأنه يكون عقبة أمام تبنينا لطفلها، فاتفقنا سويًّا على كل شيء، ورافقناها إلى الطبيب، كان في رحمها طفلًا آخر، جنين ولكنه مشوه، نهرناها في بداية الأمر بسبب كذبها علينا، كنا نريد طفلًا واحدًا، ولا نريد تفرقة الطفلين عن بعضهما، ولكنها أقسمت أن الأشعة أثبتت في بداية حملها أنه طفل واحد وليس توأم،

حتى الطبيب أثبت أنها على حق، وكأنك قد انقسمت لطفلين، كان متوقع من أخوك أن لن يعيش، ولكنه حارب الموت بقبضتيه الصغيرتين.

تحمَّلنا مصاريف حملها وولادتها، وعندما حان موعد ولادتك كنا في استقبالك فاتحين أذرعنا لكي تكون فرد جديد في عائلتنا، كان يوم مولدكما غريبًا بعض الشيء، خسوف للقمر وظهوره بشكل دامي ككرة جمر مستعرة، قلت لـ(سعيد) عندما حملتك بين يدي، تمخَّض القمر فوُلِدت أنت، يدك الصغيرة أمسكت بإصبعي، فبكيتُ، كنت مشتاقة لك، كنت جميل جدًا يابني، أمَّا توأمك فكان بقايا إنسان، خمَّن الجميع أنه لن ينجو، كل التحاليل والأشعة قالت أنه سيموت، سيعيش لساعات كحد أقصى، فلم نشعر بتأنيب ضمير عندما تركناه، تركناه جميعًا وانشغلنا بك، أنتَ فقط، عيناك كانتا تشبهان لون العسل الصافي حتى أنَّنا ظنَنَّا أنك إذا بكيت ستقطر عيناك شهدًا، ابتسامتك مثل الغيث أمطرت أرضنا البور فأزهرت قلوبنا، كنت صغيرًا ورقيقًا جدًا يابني، حتى أن أمك كانت تريد التراجع عن قرارها، أرادت أن تكون لها، صرختْ في وجهنا أن نبتعد ونتركك

ونتركها، وأسمتك (سكول)، ظلَّت تناديك بهذا الاسم وتبكي وهي تقول إنه لي إنه ابني أنا، ولكن العقد كان واضحًا، لا يمكن التراجع فيه، أنت لي، منذ البداية، وهذا كان قرار الشرطة أيضًا، سنهديك روحنا يا (ساهر) ولكن لن نتركك، انفطر قلبنا على أمك حقيقة، ولكن كان سينفطر قلبي أكثر إذا تخليتُ عنك، وهكذا صرت عائلتنا، رغم قسوة قلبك علينا في أحيان كثيرة ولكننا عشقناك.

مرت السنين وأنت تكبر أمامنا، بدأت بتكوين عالمك الخاص، كلها بضع سنوات قليلة وستكبر وتتركنا، فقررنا أنا ووالدك أن نتبنى طفلًا آخر، حتى عثرنا على (هاتي)، لم يكن ذلك هو أول لقاء بيننا و(هاتي)، لقد رأيناه في مرات كثيرة، وكأن القدر يضعه أمامنا لأسباب لم نكن نعلمها، أحببناه مثلك تمامًا رغم غرابته.

هناك أشياء مرت بنا لا نستطيع الفصح عنها، لا نستطيع البوح بها، ولم نستطع تحملها، أنا وأبوك كنا قد سقطنا في بئر الجنون بسبب ما رأينا، كنا غارقين فيه تمامًا، بحثنا عن مخرج فلم نجد، وكأن هناك لعنة طاردتنا بعد ما حرمنا أمك منك، هناك

أسرار لن نتفوه بها، اعذرني على عدم تناسق كلماتي، فقلبي مازال يرتجف، اعتنِ بأخيك جيدًا، فأنت منه وهو منك، وسامحنا يابني أننا قررنا الفراق على هذا النحو، ولكن كان أمامنا خيار آخر أكثر قسوة كان يذبح قلوبنا، فاخترنا الموت، واخترنا لكما الحياة»

انتهيت من الخطاب، ثم أعدتُ قراءته مرة ثانية، رغم أن هناك بعض الألغاز بين السطور، ولكن الحقيقة الواضحة هي أنني لست ابنهم، كم تمنيت لو كانا أمامي الآن لصببتُ جام غضبي عليهما، ربما لقتلتهما بكلتا يدي، وددت الصراخ، وأسئلة تدور كنصل سكين داخل قلبي، لماذا؟! ابتلعت لعابي وأنا أحاول أن أهدئ غليان دمي الذي شعرت بفورانه، وسألت المحامي
«هل هناك أي معلومات عن أمي؟»
«لا، كل سجلاتها اختفت تمامًا، كأنها لم توجد، كأنها وهم، بحث والداك عنها كثيرًا، ولم يجدا أي معلومة تدلُّهما عليها»

ابتلعت الصمت، وقلبي ظل يصرخ، نظرت لـ(هاتي) والذي كان ينظر لي بطريقة مريبة، كانت أول مرة تتلاقى أعيننا، كان دائما ينظر للسراب، وكأن عيناه زجاجيتان لا تعمل، أما الآن يحدق في وجهي، بنظرات لم أفهم معناها، جعلتْ الخوف يتملكني، شعرت بأنني أريد أن أطيل النظر في عينيه الغريبتين، لطالما تساءلت هل هو بشري حقا أم كائن هجين؟

*****

فتحت عيني، مازال الماء يغسل بقايا أصدقائي من على جسدي، أخذت المنشفة ولففتها حول خصري وخرجت من الحمام، واتجهت للغرفة على الفور، الشمس بدأت تنهض من نعاسها وبعض خيم الغمام قد نُصِبت حولها، شعرت برغبة ملحة في الهروب من كفن النور هذا الذي بدأ يغطي المدينة، فأسدلتُ الستائر فبدت كحصن منيع بيني وبين ضوء الشمس الذهبي، ألقيت بجسدي على السرير، فلم أنم منذ البارحة، سحبني النوم سريعًا بمخالبه، وبدأت

الكوابيس تتدفق كشلالات ضاربة رأسي بقوة، كمطرقة كادت تحوله إلى فتات، صوت صراخ أصدقائي الذي بدا كصوت الرعد يضرب سماء عقلي بقوة، وتأوهاتهم التي كانت كسياط يجلدني، كنت أريد أن أستفيق، كدت أغرق في بحر هذا الظلام الذي أراه، حاولت أن أسبح لكي أصل لبر النور، ولكن القاع عميق، يسحبني في دوامته ثانية، استيقظت بأنفاس متلاحقة، هناك ثقل يعتلي صدري مثل جبل من حديد، يبدو أنني أحتاج لطبيب نفسي كما نصحني الشرطي، صوت رنين الهاتف يلح علي لكي أرد، رفعت السماعة وأجبت

«من معي؟»

«معك المحقق (هرمان فولفجانج) من قسم الشرطة»

اعتدلت في جلستي وسألت في اهتمام

«هل هناك جديد؟!»

«أجل، هناك بعض المعلومات قد وردتنا، لقد بحثنا في المكان جيدًا، هناك أثار أقدام غريبة بالفعل في المكان الذي وصفته لنا، ولكن لا يوجد أثر لأقدامك هناك»

صوت الصمت كان مزعجًا، حتى أنه غطى على صوت الريح التي تعوي بالخارج، ابتلعت لعابي وسألت
«وماذا يعني ذلك برأيك؟»
«ربما من أثر الصدمة قد اختلط عليك الأمر ووصفت لنا مسار آخر، لذا نريدك أن تتذكر المسار الذي مشيت فيه وهربت منه، فهذا سيساعدنا كثيرًا في تحقيقنا»
«حسنًا، سأفعل بالتأكيد»
انتهت المكالمة، وظللتُ جالسًا على السرير، أغمضت عيني بقوة حتى كدت أن أعتصرهما، الريح تزمجر في الخارج، فتفتَّحت النوافذ على حين غرة وصفعني الهواء البارد على وجهي فعببت الهواء داخل رئتي حتى امتلأتا، قمت مترنحًا ثم خرجت من غرفتي لكي أبحث عن البطاقة الخاصة بالطبيب لكي أهاتفه وأحدد موعد، فعقلي لا يعمل كما يبدو.
كنا في الليل، نمت النهار بطوله، الظلام قد حل كوحش التهم نور الصباح دون رحمة، السماء تحتجب بالغيوم التي كانت تغرف من ضوء القمر الساطع.

بحثت بعيني عن (هاتي)، وجدته مازال جالس في مكانه دون أن يتحرك، ولكن هناك شيء غريب به، كأنه يتضاءل، كأنه أصبح هلاميًا، فركت عيني، حسبت أن هذا من أثر النوم، ولكن ما شاهدته كان حقيقيًا، اقتربت قليلًا منه فلاحظت انعكاسي بالمرآة التي تتوسط الصالة، كنت مخيفًا كأنني أرتدي قناع الشر، فتسمرت مشدوها، وكلما اتسعت عيناي من الدهشة، ازدادت رعبًا، نظرت ليدي والتي كان الشعر الكثيف يكسوها، وأظافري التي طالت بشكل مخيف، تكالبت الذكريات المعتمة، ذكريات كانت قابعة في غرف عقلي المظلمة وموصدة بالأغلال الفولاذية، ابتلعت ريقًا ولكن كأن حجرًا كان محشورًا داخل حلقي، وقف (هاتي) وعلى ما يبدو أنه ينتهي، ينتهي تمامًا، كبصقة تنزلق من على زجاج نافذة، نطق بجملة كانت موشومة داخلي ولكن لم أفهم تفسيرها إلا الآن «أنا منك وأنت مني»

إنه أنا، ولكنه الجانب الإنساني مني، لقد لفظه جسدي عندما كنتُ داخل رحم أمي، كان الشر بداخلي أقوى، أقوى بكثير منه، فركله بقوة لكي يتفرد بي ويتفرسني، أو ربما هو الذي انشق عني، فلم يتحمل

السواد الذي بداخلي، ففر ليبتعد عني، وكلما كبرت زاد الشر داخلي وضعف هو ووهن، كان أبي وأمي يخافاني أنا وليس (هاتي)، لقد رأيا جانبي المظلم.
الآن أتذكر، كيف كان الهلع رابضًا على خلجات وجه أمي وهي تنظر إليّ، كيف أصبحت روح ابي مهشمة كلما صادفني، لقد انتحرا بسببي أنا، تذكرتُ الآن أن وجود (هاتي) أحيانا كان يحجم شرّي، وجوده كان يشعرني أنني مازلت إنسان، ولو للحظات قصيرة، كل هذا دون أن أدري، فاللحظات التي كنت أستيقظ لأجده بجانبي كنتُ أنا حينها أغوص في دجي الشر، فكان يحاول أن يلتقطني، ولكنه الآن يتلاشى، جانبي البشري يتلاشى أمامي، وفي محاولة أخيرة منه قبل أن يصبح عجين من اللحم مد إليَّ يده، ولكني لم أستجب، أشعر بقوتي الآن تغمرني كرداء الآلهة، أشعر بالشر داخل قلبي كثقب أسود يبتلع كل شيء أمامه، ضوء القمر كإكسير الحياة بالنسبة لي، توهجت عيناي، وجسدي صار ضخم كالوحوش، فتحت النافذة وابتلعت صوت الليل الهادئ مع النسيم البارد، ثم أطلقت عواء طويل مخيف نهش الصمت

ومزقه، عواء ارتجَّت على أثره الأرض من تحت اقدام الجميع.

تمت

إلــيزابــيث

(المنزل)

-1-
والتر
3 أبريل 1990

«سيعجبكما هذا المنزل كثيرًا»
قالها السمسار البدين وهو يفتح باب المنزل والذي أصدر صوت صرير مرعب، مسح بمنديل من القماش -يمسكه في يده باستمرار- عرقه الغزير الذي لا يجف تقريبًا من على وجهه المستدير ثم تابع قائلًا وهو يضيء الأنوار

«هذا منزل أثريّ على الطراز الفيكتوريّ، فلقد تم إنشاؤه عام 1764، توارثته الأجيال، جيل بعد جيل، ولكن الوريثة الأخيرة لهذا المنزل تعيش بولاية (لوس أنجلوس) وتزوجت هناك وقالت أنها لا حاجة لها بالعيش في هذا المنزل، إنها فقط تريد المال»
مسكت بيد زوجتي (ميج) ونظرت لعيناها المتلألئة كحبات الكريستال التي تزين الثريا التي تتدلى فوقنا، ثم مشينا خلف السمسار الذي تساقط معظم الشعر من مقدمة رأسه، فانعكس الضوء عليها فبدت لامعة كبلاط هذا القصر الثمين، عيناه واسعتان سوداوان كحبات الزيتون، بطنه كبير متدلي ككرة ضخمة، ووجهه مشرئب بالحمرة.
كنا ننظر حولنا في انبهار، منزل ذو طابقين، واسع كالسماء، له سلم من الرخام يتوسط الصالة العريضة، وأثاثه مطعم بالذهب، رغم الأتربة التي كانت تكسوه إلا أن لمعان الذهب كان مثل الشمس، وفي زوايا المكان بعض التماثيل الصغيرة، فشعرنا كأننا داخل متحف أثري.
كنا نتبعه كلما فتح بابًا تلو آخر من تلك الأبواب التي لا تعد ولا تحصى.

دخلنا غرفة بها منضدة طعام ضخمة، يحاوطها اثنا عشرة كرسي من خشب العاج. وغرفة أخرى بها كنبتين وكرسيين، ومدفأة كبيرة على شكل رأس تنين فاتح فمه، وبداخل فمه الواسع بعض الحطب الجاهز لإشعاله، النوافذ مغطاة بستائر زرقاء حريرية بها خلل ضيقة سمحت لنور الشمس أن يلقي بظلاله على المكان فجعلته أشبه باللازورد، كنت أشعر بالدفء ينتشر في المكان، دفء عائلات تجمعوا هنا على مر عشرات السنين، كم حكاية نُسِجت هنا، كم ضحكة رجّت جدرانه، كم قُبلة أُخذِت بين متحابين سترتها الستائر المسدلة، خرجنا من الغرفة وقلبي يرفرف من السعادة، كنا كلما تعمقنا ازداد تعلقنا بهذا القصر. دلفنا خلف السمسار ليرينا المطبخ والذي كان كبيرًا بما يكفي لإقامة حفل فيه، فنظرتُ لـ(ميج) في سعادة نظرة ذات مغذى فضغطتْ على يدي وأشارت بعينها لكي أسأل السمسار السؤال الذي بسببه جعلنا نبحث عن منزل بهذا الحجم
قاطعته عن ثرثرته التي لم أكن أصغي لها بسبب انبهاري وسألته

«هل هناك بند في العقد يمنع من أن نقوم بمشروع ما داخل هذا القصر؟»
التفت إلي بلغده الممتلئ ثم مسح عرقه بمنديله وأجاب مبتسم
«على الإطلاق، فالمنزل منزلكما فاصنعا به ما شئتما»
سمعت دقات قلب (ميج) ترقص في سعادة، فحلمنا سيتحقق في هذا المنزل، فابتسمتُ لها وردَّت بابتسامة هادئة من شفتيها الرقيقتين.
فـ(ميج) تملك أجمل ابتسامة على الإطلاق، هذا ما قلته لها في أول يوم اعترفت فيه لحبي لها، فتاة رقيقة هي، تملك شعر ذهبي يتحدى بنوره أشعة الشمس، وعينان زرقاوتان صافيتان كسماء النهار وأنف رفيع كالسيف، ووجه يشبه القمر في تمامه.

صعدنا للدور الثاني والذي كان كبير كالدور الأول تمامًا، دخلنا غرفة كبيرة رئيسية، بها سرير كأسرَّة الملوك، الوسادات ناعمة من ريش النعام، هنا سيكون عرشنا أنا و(ميج).

المنزل مفروش بالكامل فرش ملكي يشبه هذا القصر، وعلى الرغم من أن الأثاث مهمل تحت عباءة ثخينة من الغبار إلا أنه لم يخفي رقيه.
فتح باب غرفة أخرى وحاول إضاءة المصباح ولكن الأنوار لم تعد تعمل في هذه الغرفة، فمسح عرقه وهو يقول
«لا تقلقا، سنصلح هذا قبل أن تنتقلا إلى هنا» ثم اتجه ناحية النوافذ وأزاح الستار عنها ليضيء نور الشمس ما في الغرفة، ورغم أن النوافذ سمحت بأشعة الشمس من اقتحام الغرفة إلا أنها لم تحمل أي دفء معها.
كانت غرفة مولود ومن لون الغرفة الوردي تبين أن المولودة أنثى، ولكن أثاث هذه الغرفة حديث وعصري عكس باقي أثاث المنزل فيبدو أن هذه الغرفة تم تجديدها خلال السنوات القليلة الماضية.
هناك مهد أبيض يتوسط الغرفة يغلفه ستار وردي، ودلاية موضوع فوق المهد للنجوم والكواكب، وكرسي هزاز بجوار المهد يبدو أنه ملك لأم الطفلة لتهدهد ابنتها عليه لتغفو، وسجاد ناعم مليء بالزهور المنقوشة عليه وقد غاصت أقدامنا فيه

فبدونا كأننا كالفراش نقف فوق الزهور نشتم رحيقها.
وضعت (ميج) يدها تلقائيًا على بطنها المتكور والذي يحتضن ابننا او ابنتنا فلم نتأكد بعد، ونظرت لي وهي تبتسم فابتسمتُ لها أنا الآخر، ولكننا شعرنا بلفحة برد مفاجئة انتشرت سريع داخل قلوبنا، كنت أحسب أنني وحدي من شعرت بها ولكن تلاشي ابتسامة (ميج) جعلني أتأكد أنها شعرت بها أيضًا، وارتجاف يدها التي كانت تمسك بيدي.
كانت هناك بقعتان من العرق تتسعان أسفل ذراع السمسار (جاك) والذي لم يلقي لهما بال،
فثرثر كعادته عن جمال هذه الغرفة والتي يدخلها ضوء الشمس من كل اتجاه وقال «هذا أفضل لحياة الطفل» كل هذا وهو يشير إلى بطن (ميج).
تركنا غرفة الرضيع بالبرد الذي يغلفها ودخلنا غرفة مكتب فأخرج (جاك) أوراق العقود وهو يمسح عرقه ويقول
«أظن أن هذا المكان مثالي لكتابة العقد إذا أردت سيد (والتر)، أليس كذاك؟»

نظرتُ لـ(ميج) بنظرات متسائلة فأومأت برأسها بالإيجاب، كان كل شيء مثالي في هذا المنزل إلا مكانه، كان بعيدًا عن المدينة، كان في أطرافها راسخًا وحده كجبل أسطوري، اعتقدتُ أن هذا سبب جعل المستأجرون ينفرون منه، وجعل المالكة تؤجره بثمن بخس، جلسنا على الكرسي لنتفاوض على سعر إيجار المنزل.

-2-

ميج

3 أبريل 1990

تركت (والتر) مع السمسار (جاك) ذو العرق الغزير لكي أشاهد المنزل دون ثرثرة.
هذا لن يكون منزل الأحلام فقط ولكنه سيكون مكان عملنا أيضًا، لطالما حلمت أنا و(والتر) أن ننفذ مشروعنا الخاص في مكان مثالي، فأنا متعهدة طعام، وهو كان يدير مطعمًا كنت أوصل له بعض الطلبات، هكذا تعرفنا، هكذا أحببته، من أول يوم رأينا بعضنا فيه، توحدت عناصرنا وأصبحنا تركيبة كيميائية واحدة لا يمكن فكها، طموحنا واحد، أراءنا واحدة، نشبه بعضنا كثيرًا، تقريبًا ملامحنا واحدة، وحتى أننا ننطق نفس الجملة بنفس التوقيت.

قصر لو ظللنا عمرنا كله نحلم به لما استطعنا تحقيقه، ولكن هاهنا نحن، سنعيش فيه ونعمل فيه، فكرنا في حل مشكلة بُعد المنزل عن المدينة، سنوفر

عربات تشبه عربة سندريلا مع أحصنة بيضاء ملائكية، سيعيش الزوار ساعات في زمن ملكي، هذه خطة لجذب الزبائن هنا.

كنت ألمس جدار المنزل وأنا أتحرك، أغمضت عيني لثوان وأنا أتخيل الدور الأول متملئ بالزبائن بعد أن نتخذه مطعمًا، والدور الثان ممتلئ بالحب بيننا خاصة بعد أن يولد طفلي، فتحت عيني وأنا أبتسم في سعادة وكأن حلمي قد تحقق بالفعل، ولكني لاحظت شيئًا ما أوقفني، فغرفة الأطفال التي أزاح السمسار ستارها قد أُسِدلت ستائرها ثانية وأصبحت شبه مظلمة، كنت متأكدة أننا تركنا الستائر مفتوحة، هُيِّءَ لي أن المهد يتأرجح، وكأن هناك من كان يهدهد طفله، دخلت بخطوات بطيئة لكي أتأكد مما أراه فالرؤية غير واضحة في هذا الظلام، أزحت الستار مجددًا فانغلق باب الغرفة بقوة، جريت باتجاه الباب وأنا أحاول فتحه ولكن دون جدوى، فأخذت أطرقه بكل قوتي وأنا أصرخ باسم زوجي

«(واااااالتر)»

سمعت صوت بكاء رضيع ورائي، فتوقفتُ عن الصراخ، ولكن دموعي كانت تصرخ خائفة بدلًا مني،

رجعت للمهد الذي كان مازال يتأرجح بخفة، ألقيت نظرة بداخله، فتاة رضيعة فائقة الجمال، ترتدي ثياب غريبة الشكل، ثياب رثة لا تليق بحسنها، نظرتْ لي هي الأخرى وعندما رأتني كفَّت عن بكائها.

-3-
والتر
3 أبريل 1990

بعد أن وقَّعت باسمي على آخر ورقة بالعقود سمعت صوت زوجتي تصرخ من غرفة ما وتطرق بقوة على بابها المغلق، هرولت أنا و(جاك) تجاه الغرفة ولكن عندما وصلنا كانت (ميج) قد سكتت ولم تعد تصرخ

مما جعل القلق يزحف داخلي كسرب نمل، صرختُ باسمها وأنا أحاول فتح الباب الذي كان موصد بإحكام، فقررت كسره، رجعت خطوتين إلى الوراء وجريت بكتفي ولكن قبل أن أصطدم بالباب انفتح وحده، انفتح دون حتى تدخل من (ميج) التي كانت بالداخل.

لم تشعر بنا (ميج) وهذا ما جعلني أستعجب، كانت واقفة أمام مهد الرضيع وكأنها في عالم آخر، لم تشعر حتى بعد أن ناديتها عدة مرات، فاقتربت منها وربت على كتفها ففزعت وحدقتْ إلي مستغربة، فسألتها

«هل أنتِ بخير عزيزتي؟ ماذا حدث؟! ولماذا تقفين في الظلام؟!»

نظرت (ميج) إلى الستائر المسدلة باستغراب أكثر ثم أجابت

«أنا بخير لا تقلق عليّ، أنا بخير»

قال (جاك) وهو يمسح عرقه ولكن هذا العرق كان من أثر التوتر الذي بدا على محياه

«سنصلح كل شيء، هذا الباب سنصلحه لا تقلقا»

نظرت له في ضيق لكي يكف عن الكلام، وضممت (ميج) إلى صدري وقبَّلتها من رأسها وقلت
«لقد قلقتُ عليكِ جدًا» وضعت يدي على وجهها أحضنه بحنان ونظرت في عينيها
«إذا أردتِ أن نتخلى عن هذا المنزل فأنا معكِ، فقط قولي لي وسنبتعد عن هنا فورًا»
اقترب (جاك) لكي يتدخل ولكني أوقفته مرة أخرى بنظراتي فظل مكانه. أزاحت (ميج) يدي من على وجهها وقالت وهي تحاول أن تتحاشى النظر إليّ
«أنا بخير يا حبيبي، قلت لك لا تقلق»
ثم سألتني وهي تحدق لـ(جاك) الغارق في عرقه
«هل أنهيت التوقيع على العقد؟»
«أجل، أصبح المنزل لنا»
«جيد جدًا» قالتها في سعادة
أمسكت بيدها لكي ننزل ونرحل ونوضب أمتعتنا ولكني لمحتها تنظر عدة مرات للغرفة التي حُبست داخلها، نظرات لم أفهمها حينها، وعند المدخل بارك لنا (جاك) وأعطانا مجموعة من المفاتيح وأكد أنه سيصلح كل شيء قبل انتقالنا، فلقد أعلمته أننا سننتقل بعد أسبوع، ولكن (ميج) قاطعتنا وقالت

«ولكني أريد الانتقال الليلة، أريد أن أبيت هنا الليلة»
«(ميج)، أنتِ تعلمين أننا لم نوضب أمتعتنا، وهناك الكثير من الأشياء العالقة يجب أن ننهيها قبل الانتقال، وتلك الغرفة التي سيصلح بابها وأنوارها (جاك)»
«أرجوك حبيبي»
لم أستطع رفض طلب (ميج) رغم صعوبة الأمر بالنسبة لي، ورغم أنها أول مرة منذ سنوات تحاول تجنب النظر إلي عيني، ولكني وافقت.

(البداية)

-1-

كاثرين

17 يونيو 1820

«يا ساقطة يا فاجرة» قالتها أمي وهي حانقة، بعينين خضراوين استحالتا لبركتي دماء من شدة الغضب

«أمي، أرجوكِ اسمعيني، افهميني قبل أن تحكمي علينا» كنت أقولها باكية متوسلة وأنا أجرُّ نفسي تجاهها

«وأنتَ، ستدفع ثمن خطأك يا حقير يا حثالة»
اقترب (مايكل) من أمي لكي يجعلها تتوقف عن إهانته ولكني أمسكت بقدمه لكي يتوقف، فأي رد فعل منه سيضخم الأمر أكثر مما هو.
حاولت ستر جسدي بشرشف السرير بعد أن ضبطتنا أمي ونحن نتبادل الحب على سريري في غرفتي، لم يزعجها أنها رأت ابنتها عارية مع رجل عار، الذي أزعجها هو أنني اخترت السائق الخاص بنا لكي أحبه، فهي تعتقد أنهم من حثالة المجتمع، وُلدوا فقط لكي يخدمونا نحن الأسياد، هذا ما جعلها تنفث النار كالقدر المغلي.
كان الخدم يقفون مصطفين ينظرون إلينا دون حراك، إهانتي بهذا الشكل جزء من خطتها على كل حال.
ودون أن تنظر أمي إلى الخدم أمرتهم قائلة وهي تشير لـ(مايكل)
«خذوا هذا الشيء واربطوه في الحظيرة»
«لاااا، لاااا، (كاثرين) ساعديني» صرخ (مايكل) وهم يجرجروه خارج الغرفة وعيناه تتعلقان بي، كان يأمل أن أساعده، فزحفتُ على ركبتي حتى

وصلت لقدميها باكية، أخذتُ ألثم أصابعها واحدًا تلو الآخر وأنا أترجاها لكي تترك (مايكل) وشأنه
«أمي، أرجوك، إنه زوجي، (مايكل) زوجي، لقد تزوجنا سرًا، أرجوك دعيه وشأنه»
ولكن هذه الكلمات جعلتها تستشيط غضب أكثر من ذي قبل، فأمسكت بشعري بقوة وقربت وجهها إلي وقالت
«هذا سبب كاف لتعذيبه، يا ساقطة»
ثم دفعت وجهي بقوة ليصطدم بالأرض مما جعل الدم يتطاير غاضب من أنفي، ثم استدارت فارتطم فستانها الأزرق المنفوش الواسع بجسدي، وخرجتْ وأغلقتْ خلفها الباب وتركتني أموت حزنًا دون أن تكترث.
سمعتها وهي تتحدث للخدم قائلة
«لا تدعو (كاثرين) تخرج من غرفتها على الإطلاق، وستأكل من طعام الخدم، هي التي اختارت أن تكون مثلكم، فلتجرب»
كانت تهين الخدم أكثر من إهانتي أنا شخصيًا بكلماتها الجارحة، ولكنهم قد تعودوا وصارت إهاناتها شيء روتيني كالماء والهواء.

تطوعت (ماري) الخادمة لكي تكون مسؤولة عن حبسي داخل هذا السجن المسمى بغرفتي، سمعتها وهي تطلب هذا الطلب من أمي بصوت مرتجف، جريت باتجاه النافذة، أبحث بعيني عن (مايكل)، أسمع صوته يرجوهم أن يتركوه، ولكن الظلام كان حائلًا بيني وبين رؤيته، بعض المشاعل تتمايل نيرانها وتلقي ظلالها في الطرقات، ولكن الأشجار حجبت النور أن يتسلل ناحية الحظيرة، والقمر كان وليدًا، يتوارى بخجل خلف السحاب الرمادي، كأنه احتفظ بنوره لنفسه.

دخلتْ (ماري) الغرفة وأغلقت خلفها جيدًا ثم اقتربت مني وأنا اقف عارية عند النافذة أفتش عن (مايكل)، صوته كان يمزقني، وضعتْ الغطاء على كتفي فأُسدِل وغطى جسدي بالكامل، ثم احتضنتني بقوة وعيناها تترقرق بالدموع، وهمست كي لا يسمعها أحد

«سأعتني بكِ سيدة (كاثرين)، سأعتني بكِ جيدًا»

خرجت ابتسامة باكية من بين شفتاي وأنا أحاول أن أشكرها فأردفتْ وهي تمسح الدماء السائلة من أنفي برفق

«لاحظتُ منذ زمن نظراتك له ونظراته لك، وخمَّنت، سعدت بكما جدًا ولكن الخوف استعمر قلبي أيضًا، تخيلت ماذا لو عرفت السيدة (مارجريت) بعلاقتكما؟ لقد حسبتُكِ أكثر حرص من هذا يا سيدتي»

«لقد ذهبت أمي لزيارة صديقاتها، وقالت أنها ستمكث عدة أيام، لم أخمن أنها ستتشاجر مع إحداهنّ لتعود في اليوم التالي وتراني في هذا الوضع»

نزلت الدموع وأغرقت وجهي وأردفت وأنا أدفن رأسي بين كتفيها

«ستقتله يا (ماري) ستقتله»

ربتت على كتفي في حنان، جذبتني برفق تجاه السرير، فأسندتُ رأسي على الوسادة ثم قالت

«السيدة (مارجريت) طيبة القلب يا سيدتي ولن تقتله بالتأكيد»

«أنتِ لا تجيدين الكذب يا (ماري)» نظرتُ لها معاتبة، فلطالما كان يحوي قلب أمي بحورًا من الجفاء، وشلَّالات من القسوة، تتدفق بعنف نحو قلوبنا فتهشِّمنا جميعًا.

وقفت (ماري) وقامت بإطفاء الشموع التي كانت تضيء الغرفة، وأردفت وهي تقبّل جبيني
«نامي الآن يا سيدتي، سيُحلُّ كل شيء باكرًا»
خرجت (ماري) وأوصدتْ الباب خلفها، بعدها سمعت صوت أبي يتشاجر مع أمي، طرق بعنف على باب غرفتي وهو يصيح بصوت عال
«لن تمنعيني من رؤية ابنتي يا (مارجريت)، افتحي الباب يا (ماري) وإلا كسرته»
نهضتُ مسرعة وحاولتُ فتح الباب أنا الأخرى وأنا أقول
«باباااا، أرجوك أنقذني، باباااا»
ثم سمعت صوت أمي يقول في استعلاء معتاد
«لا تجبرني على فعل ماهو أكبر يا (ريتشارد)، فحبسها ومنعها من رؤية أحد فهذا قرار رحيم مني، تخيل الفضيحة التي ستنال عائلتنا إذا علموا بالأمر، تعال معي سنفكر بهدوء وستقتنع برأيي»
سمعت صوت خطواتها تبتعد وخلفها خطوات أبي تتبعها في انكسار وضعف، فارتفع صوتي أكثر، وحاولت كسر الباب وأنا أردد
«باباااا، لا تتركني، باباااااا»

ولكنه بالفعل قد تركني، تخلى عني، حتى بالرغم من محاولاته الوقوف أمام باب غرفتي كل ليلة ويهمس لي بأنه يحبني، وأنه بجانبي؛ فلقد تركني في هذه اللحظة، تركني أموت في اليوم مائة مرة من أجل اسم عائلة مزيفة.

-2-
والتر
3أبريل 1990

قمت أنا و(ميج) بتوضيب أمتعتنا سريعًا واتجهنا للمنزل الجديد، أخبرنا (جاك) ذو العرق الغزير أنه سيقوم بالإجراءات الورقية كاملة. لم تتكلم (ميج) كثيرًا في هذا اليوم، حتى أنني سألتها مرارًا إذا كانت بخير أم لا وكانت تجيب دائمًا أنها بخير، هي فقط متحمسة.

حل الليل سريعًا، كنا في هذا المنزل الضخم وحدنا، داخل غرفتنا الملكية، على السرير الناعم كالحرير. السماء بثوبها الكحليّ، والنجوم تبرق بدت كأنها تزين هذا الثوب الساحر، ولاح القمر قريبًا فغمرنا بشعاعه الفضي، كان مشهد رومانسي، وكأننا سابحين وسط السماء، وكأن فراشنا قطعة من القمر، اقتربت من (ميج) وقبّلتها مرارًا، ولكنها لم تبادلني القبلات، أبعدتُ وجهي عن وجهها وعقدتُ حاجبي في عدم فهم، فقالت بصوت غير مقنع «أنا متعبة» ثم استدارت ليصبح ظهرها مواجهًا لي
خاب أملي حينها، ولكن بيننا أيام طوال، فعانقتها ونمنا هكذا حتى منتصف الليل، سمعت حينها صوت

أيقظني، قادم من العلية، صوت ارتطام قوي، تحسست مكان (ميج) والذي كان فارغًا، فأضأتُ المصباح بجانبي ولم أجدها بالغرفة، وضوء الحمام مغلق فهذا يعني أنها قامت لهدف آخر، بحثت عن مصباح يدوي بين الصناديق التي تحوي أشياءنا عازمًا أن أصعد للعلية، خرجت من الغرفة ومازال صوت الارتطام مستمر، مشيت في الممر الضيق الذي يفصل الغرف عن بعضها ويوصل للعلية، فلاحظت أن (ميج) تمكث وحدها وسط الظلام في غرفة الرضيع وهي تأرجح المهد بانتظام رتيب وجهت المصباح للداخل وسألتها

«(ميج)!! ماذا تفعلين هنا؟!»

أغمضت عينها وهي تضع يدها حائلًا بين الضوء وعينيها وكأنها لم تر ضوء منذ شهور مما جعلها تتأذى

«لا شيء، فقط أردت الاسترخاء قليلًا»

صوت الارتطام بالعلية أصبح أقوى الآن، ولكن على ما يبدو أن (ميج) لا تسمع ما أسمعه، فلم أرد إخافتها ورجعنا سويًا إلى الغرفة وأنا أحاول أن أتجاهل ما أسمعه.

نامت بجانبي ثم وضعتْ يدها على بطنها وهي تقول «(إليزابيث)، سأسميها (إليزابيث)»
«هل أنتِ جادة؟ هذا اسم قديم جدًا، يبدو مناسبًا لسيدة مسنَّة» قلتها مستهزئًا ثم تابعتُ كلامي
«حتى أن الطبيب لم يحدد نوع الجنين بعد بناءً على رغبتنا، هل نسيتِ؟!»
«(إليزابيث)، سأسميها (إليزابيث)»
لم تعر لكلامي أي اهتمام، وكأنها لم تسمعني، وظلَّت تكرر هذه الكلمات عدة مرات.
وضعت الوسادة فوق أذني لكي أحاول النوم، رغم الصوت القادم من العلية، ولكن قد فاتني قطار النعاس بالفعل، فانتظرت حتى نامت (ميج) تماما وأمسكت بمصباحي اليدوي واتجهت للعلية.
صعدت درجاتها في حذر، اقشعر بدني، وأنا أقترب إلي مدخل العلية، كانت غرفة مظلمة لا يوجد بها نوافذ، أضأت المصباح الخاص بالمكان ولكنه لا يعمل كما توقعت، فوجهت مصباحي أتفحص العلية، غرفة صغيرة هي، أرضيتها من الخشب وجدرانها مبتلة من المطر، وكأن الغرفة كانت تبكي منذ لحظات، فالألم موشوم على جدرانها.

كانت الغرفة خالية إلا من صندوق حديدي كبير، وجدته مفتوح، فلم أحتج إلى صنع جلبة لكي أفتحه، لم يكن داخل الصندوق أي شيء إلا كتاب صغير كُتِب عليه بخط عريض (مذكرات بيكي)
فتحت المذكرات وتخطيت بضع صفحات حتى وصلت لليوم الذي انتقلوا فيه للمنزل.

(مذكرات بيكي)
18 يناير 1970

(انتقلنا إلى منزل جديد استأجره جدي من المالك، حاول أن يشتريه ولكن المالك لا يبيعه، إنهم يقومون بتأجيره فقط، إرث ثمين لن يفرطوا فيه، هكذا أخبرنا جدي
منزل كبير جدًا هو، يناسب عائلتنا الكبيرة، بعدما قررت جدتي أن يتم لم الشمل بعد مرض جدي الخطير واقترابه من الموت.

سنعيش جميعًا في نفس البيت، أنا وأبي وأمي، وعمي وزوجته، وعماتي وأزواجهنّ وأولادهنّ، بالإضافة إلى جدي وجدتي بالطبع.
كنت سعيدة عندما علمت بالخبر، سمعت أبي يقول لأمي أننا سنعيش جميعًا مع جدتي وسيستأجرون بيتًا كبيرًا، كنت سعيدة لأنني أحب ابن عمتي (ويل) والذي كان يكبرني بعامين، رغم أنه دائمًا يضايقني ولكني كنت أحبه.
تضايقت أمي عندما سمعت بقرار جدي، ولكن لا مجال للرفض، في الحقيقة أعرف جيدًا أن الجميع قد تضايق ولكنهم كانوا مجبرين لينفذوا أوامر جدي وجدتي وإلا فستنزل أمطار الغضب عليهم دون رحمة ولن يكون لهم نصيب من الميراث والذي كانت أعينهم جميعا مسلطة عليه.
كل شيء في حياتهم قد تأثر، البعض منهم كان يعيش في ولاية أخرى، ولكن عمي قد تحدث مع بعض معارفه ونقل عملهم بالقرب من المنزل الجديد، حتى المدارس تم نقلي ونقلهم إلى مدرسة واحدة.

منذ اليوم الأول وأنا أشعر بشيء غريب في هذا المنزل، لكني لم أخبر أحد على الإطلاق، فأنا مازلت في العاشرة من عمري وسيسخرون مني.
عندما سمعت صوت بكاء رضيع قادم من الغرفة المجاورة لغرفتي ناديت على أمي ولكنها لم تجبني، فقمت وخرجت من غرفتي لأجد أمي جالسة على الأرض بالغرفة الفارغة والتي كان يكسوها الظلام، وتنشد أنشودة للأطفال بصوت منخفض، لم تلحظ وجودي حتى بعدما ناديت عليها، اقتربت قليلًا، مازلت أسمع صوت الرضيع، وكأنه نابع من داخلي أنا، لا أستطيع تحديد مكانه، كأن الصوت يحاوطني كعباءة سوداء ثقيلة، هذه الغرفة مريبة، يقشعر جسدي كلما مررت بها، والآن أشعر بأنني داخل ثلاجة، ناديت على أمي ثانية، فلم ترد، تغني بشكل رتيب كأنها في ملكوت آخر، فعدتُ ركضًا لسريري مرة ثانية وأنا أرتجف.)

(مذكرات بيكي) 29-2-1970

(أمي حامل.. سيأتيني أخ أو أخت، بكيت عندما علمت بالأمر، ظننت أنني سأظل جوهرتهما الثمينة طوال العمر. ولكن سيأتي من يأخذ بريقي هذا، كسرت دميتي عندما علمت بخبر حملها، كنت غاضبة جدًا منهما، شعرت بأنهما خانا حبي لهما، ولكن في الصباح وجدت الدمية كما هي، كانت سليمة لم تتكسر، فشكرت الرب بأنه أعطاني فرصة أخرى، ربما علي أن أفرح بحمل أمي، هذه إشارة من الرب.)

(مذكرات بيكي) 8-4-1970

(أنا أكتب الآن وأنا أختبئ أسفل سريري وأخشى أن تمحو دموعي ما أكتب، لقد جن جنون الجميع، صاروا يتشاجرون كثيرًا، صفعني أبي على وجهي دون سبب، دون أدنى سبب..
وضرب عمي زوجته بعصا كانت قريبة منه، أما أمي، فرأيتها تضحك بصوت عال بشكل مريب، تضحك وهي تراهم يتشاجرون حتى كادوا أن يقتلوا

بعضهم بعضًا، والآن أسمعهم يتسامرون ويضحكون وكأن شيئًا لم يحدث.)

(مذكرات بيكي) 1-5-1970

(سيكون لي أخت، سنلعب سويًا، سأعيرها دميتي وملابسي.
جهزت أمي غرفتها وأعادت طلائها واشترت لها مهد صغير يليق بها.
أمي قالت أنها تريد أن تسميها (إليزابيث)، ولكن جدتي ثارت غاضبة وقالت أنه اسم أبيض، ولا يناسبنا نحن السود.
هل هناك ما يسمى بالاسم الأبيض؟! وكيف يرون لونه؟! لم أفهمها.
أما أبي فرفض لأنه اسم قديم، يريد اسمًا عصريًا و.. أبيضًا.
ولكن أمي أصرَّت، وأمسكت بسكين كان بيدها ووضعته على بطنها المنتفخ، وقالت إن لم يوافقوا

على اسم (إليزابيث) ستقتل نفسها وتقتل أختي التي لم تولد بعد.
فوافق الجميع..
ستسميها (إليزابيث)

****

تعاظمت دقات قلبي وأنا أقرأ الاسم، (إليزابيث)!!
ترى هل هي مصادفة التي جعلت (ميج) تنتقي هذا الاسم بالذات بين آلاف الأسامي؟! أم أنها قرأت تلك المذكرات قبل أن أقرأها أنا؟!
ولكن التراب الذي كان يغطي المكان يوحي بأنه لم يمسسه بشر منذ سنوات.

خبأت المذكرات داخل ملابسي ونزلت عائد لغرفتي، كنت أنتوي أن أكمل قراءتها في وقت لاحق، وغرقت في نوم عميق، وفي الصباح شعرت بأحد يهمس في أذني، صوت أنثوي ولكنه ليس صوت (ميج)، استيقظت فزعًا.

(ميج) مازالت نائمة بجواري، ولكن هناك أثار أقدام على السجاد أسفل مني، أقدام مبتلة، ويبدو أن صاحبة هذه الأثار قد وقفت طويلًا هنا.
قمت من على سريري، وتتبعت أثر هذه الأقدام حتى وصلت لغرفة الطفلة وهنا توقف أثر الأقدام.
كان باب الغرفة موصدًا، حاولت فتحه ولكني فشلت، سمعت صوت بكاء طفل وصوت امرأة حزين تهدهده وهي تبكي، فتجمد الدم في عروقي، وفزع عقلي فتشتت حولي.
عدتُ لغرفتي مرة ثانية ودثَّرت نفسي بالغطاء وأنا أرتجف، ولكن صوت الارتطام بالعلية جعلني أنتبه، وضعت يدي داخل جيبي حيث المكان الذي وضعت فيه (مذكرات بيكي) ولكني لم أجد المذكرات، بحثت عنها في الغرفة جيدًا ربما قد وقعت مني ولكني لم أجدها.
صوت الارتطام بالعلية يتكرر مرة أخرى، كأنه يناديني، فمشيت وصعدت للعلية ووجدت الصندوق مفتوحًا كما تركته، نظرت بداخله وإذ بكتيب المذكرات موجود في الصندوق، من الذي وضعه

هنا؟! لا أعرف، ومن الذي يُحدِث صوت الارتطام هذا؟! لا أعرف أيضًا.
ولكني قررت إكمال قراءة المذكرات فربما أجد إجابة لتساؤلاتي بالداخل.

*****

-3-

كاثرين
1 أغسطس 1820

«سيدة (مارجريت)، يؤسفني أن أقول لكِ أن السيدة (كاثرين) حامل»
شعرت بنبض قلب أمي يتوقف بعد سماعها تلك الكلمات، رغم أن كل شيء كان يبشر بحملي، انقطاع عادتي الشهرية، والقيء والإعياء المستمر، كل ذلك ليس له إلا معنى واحد.. حامل.

استندت أمي على يد الطبيب لكي لا تسقط أرضًا من أثر الصدمة، وأول ما نطقت به كانت هذه الكلمات
«هل يمكنك إجهاضها؟»
تعجب الطبيب وقال وهو ينظر إلي
«لا أستطيع يا سيدتي، فإن هذا سيعرض حياة السيدة (كاثرين) للخطر»
«لا يهم، لا أريد هذا الطفل، حتى لو تعرضت حياتها للخطر»
قالتها في ثقة وثبات غريب وكأنها تتخلص من كيس قمامة قد نفذت رائحته الكريهة وليس ابنتها،
فاتسعت عينا الطبيب في عدم تصديق وهو يقول
«سيدة (مارجريت)، أشعر أن الصدمة ربما أثرت على تفكيرك، أنا لا أقوم بعمليات إجهاض كما تعلمين، وائذني لي بالخروج فلقد انتهى عملي هنا»
نظرتْ له في غيظ ثم أشارت للخدم لكي يرافقوه للأسفل، فقال قبل أن ينصرف
«واطمئني يا سيدتي، فلن يعرف أحد بهذا الخبر، فهذا قسم قد أقسمته على جميع مرضاي على كل حال»
لم تنبس أمي ببنت شفة، وكأن هناك من ألجمها.

خرج الخدم جميعًا وتركونا وحدنا، أنا وهي فقط.
فاقتربتْ من النافذة ونظرتْ للخارج، للشمس التي توارت خلف كتل الغيوم التي سرقت كل ألوان الصباح فأصبحت السماء شاحبة مثلي.
قالت دون أن تنظر تجاهي
«أنتِ تحملين بطفل نصفه من الإنسان، من الأسياد، والنصف الآخر حيواني من حثالة المجتمع، لذلك لن أسمح بأن يولد هذا الطفل، سأقتله كما قتلت أبوه»
اعتورت السماء بسياط البرق فتوهجت عيناها حتى بدت كالشياطين، ثم نظرت لي في قسوة وتركتني وانصرفت
كنت أعلم أنها قتلت (مايكل) ولكن أن يكون الخبر حقيقة وليس مجرد تخمين فكأنها طعنتني آلاف الطعنات داخل قلبي.
ملأت الكون صراخ، وبكاء وعويل، شاركتني السماء بشلالات من الدموع، ورجيف الرعد المدوي بدا كأنه نحيب السماء، ضربت رأسي في الحائط لكي أخرج كلماتها من رأسي، فكلماتها كانت بمثابة نعي لموت (مايكل).

بعد ساعات دخلت أمي وفي يدها ملابس الخادمات، وأمرت (ماري) أن تجعلني أرتديها.
قمت وعيناي زجاجية كانتا تنظران للا شيء، تشبه نظرات الدمى، ألبستني (ماري) ملابس الخادمات، وأمي تنتظر مني أن أصرخ وأعترض أنها اعتبرتني من الخادمات، ولكني لم أفعل، تحسبني مثلها يهمني مثل هذه التفاهات، تحسب أنها ستهيننني.
فاقتربت مني وبصوت أشبه بالفحيح قالت
«ستندمين يا (كاثرين)»
لم أتحرك، لم أجفل حتى، لم تكن لي أي ردة فعل، فصفعتني بقوة على وجهي، فالأهم عندها أن ترضي غرورها.
كانت تعلم أن موتي سيكون راحة لي، فأرادت أن أتذوق العذاب بألوانه، غير أن الطبيب على علم بما يدور في خلدها إذا حدث لي مكروه فأصابع الإتهام ستشير إليها، أما (مايكل) فالشهود هم الخدم فقط، ليس لهم صوت فقد قطعت ألسنتهم بتسلطها حتى لو ملأوا الدنيا صراخًا فلن يعيرهم أحد اهتمام. كأنهم مجموعة بكماء ليس لهم قيمة.

أمرت الخدم بعدها أن ينقلوني للعلية، وأخلت المكان من الشموع فعشت في ظلام دامس، أخدش الأرضية الخشبية وأحفر آلامي بين طياتها، ثم أملأها بدموع ساخطة على كل شيء.
كانت (ماري) تأتيني بطعام الخدم كما أمرتها أمي مرة واحدة فقط يوميًا، كانت تجلب معها شمعة واحدة شعلتها هزيلة لكي أستطيع رؤية الطعام، ولكن منعتها أمي بعد ذلك، قالت أنني اخترت الظلام، لو كان حبي لـ(مايكل) ظلامًا فسأفتح ذراعي له وأمطر عشقًا يطفئ شمعات سوداء نحتتها أمي بكراهيتها.
ذات مرة جلبت لي (ماري) من طعام الأسياد خلسة، ولكني لم أتذوقه، كنت أتركه ولا أقترب منه، وعلى الرغم من ذلك واظبت (ماري) على إحضار طعام الأسياد لي دون أن يلحظ أحد، ياليتك أمي يا (ماري)، ياليتني فقيرة خادمة ويحتويني حضن أم بدلًا من أن أكون ثرية من الأسياد يلفظني قلب أمي خارجه ويعذبني بكل أنواع العذاب.

مرت الأيام لم أعد أتبينها، اعتدت فيها الظلام، أشعر بأن عيناي بدتا أوسع وكأنهما تشعان نورًا، فصارت الرؤية أوضح، صارت حواسي أقوى، كالحيوانات.
وهذا ما نجحت فيه أمي فهي كانت تراني مجرد حيوان بعد معرفتها علاقتي بـ(مايكل).
صرت أفرق بين خطوات هذا وذاك، أشتم رائحة (ماري) التي تشبه رائحة العصيدة من على بعد فأعرف أنها اقتربت مني، أسمع صوت نحيب أبي ليلًا في غرفته وهمسه باسمي في حسرة، وأسمع صوت خطوات أمي المتعالية مثلها وهي تتحرك ذهابًا وإيابًا فعلى الأرجح هي الآن تفكر في طريقة أخرى لتعذيبي.
بطني الصغير صار أكبر، يحمل طفلا أشعر بأنه يكره العالم قبل أن يولد، يكره قسوته وأنانيته، طفل عاش في ظلام رحمي، وسيولد في ظلمات أشد، ظلام العلية وظلام قلب أمي، وظلام هذا العالم الموحش.
حاولت إجهاض نفسي، وقفت على الصندوق الحديدي وقفزت أكثر من مرة.
لم تكن نيتي التخلص من جنيني فقط، كنت أنتوي التخلص من حياتي فلقد مللت هذا العذاب، ولكن

(ماري) سمعت صوت الارتطام الذي كنت أصدره، وأوقفتني واحتضنتني وهي تبكي متوسلة لكي أتوقف عن أذية نفسي.
«توقفي سيدتي، توقفي حبيبتي أرجوكِ، فربما يلين قلب أمك بعد أن تضعين طفلك»
قلت لاهثة متعبة
«وهل يوجد داخل صدر أمي قلب؟!! أشك في ذلك»

مرت أسابيع لم أستطع عدها، قلَّت زيارات (ماري) لي، كانت تقول أنها تخاف من أمي أن تلحظ زياراتها فتزيد في تعذيبي، ولكني كنت اعرف السبب،
أصبحت (ماري) تخافني، صوتها الذي يرتعد عندما تحدثني، رجفة يدها وهي تلمسني، دقات قلبها التي تتسارع عندما تقترب من بابي رغم أن الخوف والحب يتزاحمان داخل قلبها ولكن الخوف أقوى،
قالت لي ذات مرة أنني أصبحت غريبة الأطوار، ربما لأنني أحدث نفسي في معظم الوقت؟ وأضحك وأبكي في آن واحد؟ أو ربما لأنني كنت أريد قضم أظافري من التوتر فقضمت بعض من أصابعي دون أن ألحظ؛

صرخت (ماري) حينها في هلع عندما رأت الدماء تحيط فمي وكنت أضحك في جنون، هل أنا مجنونة حقا كما قرأتُ على صفحات وجهها؟! ربما، فلم أعد أتعرف عليّ، تاهت روحي على جدران هذه الغرفة، مزقتها العتمة، وقلبي اعتصره صقيع البغضاء، نسج التَّجَاف خيوطه في زوايا قلبي، أصبحتُ خاوية، صرتُ فارغة من الداخل، إلا من طفل يركل حظه العسر كل لحظة.
أمسكتُ ببطني وسألته، لماذا أتيت؟ لماذا حملت بك؟ أتعي أنك لن تعيش للحظات؟ أتدرك أنها ستقضي عليك في ساعاتك الأولى؟! ستسحقك أمام عيناي لتزيد من بأسي.

مر شهر آخر، تُدخِلُ فيه (ماري) طعامي بشكل حذر، ثم مر أسبوع أو أكثر لم تجلب لي الطعام، سمعت صوت ابتلاع ريقها في خوف، كنت أجلس على قدمي وأسند الأرض بيدي، كحيوان مفترس في وضع الهجوم، شعري أشعث واستطالت أظافري، لو رأيتُ انعكاسي للُذْتُ فرارًا، كما تفعل (ماري).

في تلك الليلة، سمعت صوت خطوات اشتقت لسماعها، أبي يقترب من العلية، ولكنه كان يجر قدميه جرًا، أنفاسه متحشرجة، وقفت واقتربت من الباب، همستُ «أبي!»
جلس على الأرض بثقله، واتكأ على الباب، أشعر بأن هناك شيء على غير ما يرام، أسمع دقات قلبه تتفاوت، أنفاسه ثقيلة كأن الهواء محمل بالحديد، هتف بصوت متحشرج
«(كاثرين)، سـ،، سـ سامحيني، سامحيني يا بنيتي»
ركلت الباب بقدمي، شعرت بروحه تتفلت وهو يحاول التشبث بها ولكنها اختارت الفراق، فصرخت باسمه بعدما انقطع صوته تماما «بابااا، باااباااا»
تنصَّتُّ وأصختُ السمع، حاولت جاهدة أن أستمع لدقات قلبه، كنت أريد أن أشق الباب بيدي وأفتش في صدره عن نبضة واحدة تؤكد لي أنه على قيد الحياة، ظللت أركل الباب وأطرقه وأنا قابضة يدي، أصرخ وأصيح حتى بحَّ صوتي، ثم سمعت صوت ركض قادم تجاهي، تجاه الباب، حملوا جثته وهم يجهشون بالبكاء، شعرت بالظلام يزداد، وتفشَّت العتمة، كأن روحه كانت بصيرتي.

هذا هو العذاب الخام، ألم يجتاحني فصرت كقطعة قماش خرِقة، وأنياب الفراق هشَّمتني، لم أستطع أن أودعه الوداع الأخير، شهور وأنا حبيسة هنا دون أن أراه أو أسمعه، وددتُ أن أخبره أنني سامحته، قلبي ينبض بالوجع، لو أمي هنا ورأتني هكذا لطارت من السعادة، تمنيتُ للحظة لو تبدلت الأدوار، تمنيتُ لو عاش أبي، وماتت أمي.

«آاااااااااااه»

ألم الفراق وألم الولادة اجتمعا حتى كدتُ أن أتمزق، بطني تتقلص، وجع في الأسفل كأنصال السكاكين الحادة.

«آاااااااااااه»

الألم يزداد، والجميع مشغولون بوفاة أبي، أمي بالتأكيد ليست بالمنزل، ربما تقوم بمراسم الدفن والعزاء.

«امممممممم» زممت على شفتاي وأنا أئن كاتمة صراخي، لا أريد أن ألده، ليس في هذا اليوم، أرجوك فقلبي ممزق رثَّ، لن يتحمل أوجاع إضافية، لن يتحمل حزن جديد، هل مرت التسعة أشهر؟ لا أعرف، ولكن أرجوك يا ولدي ليس اليوم، ابقَ في

رحمي، فرحمي أكثر دفئًا، أكثر أمانًا، وأكثر نورًا، فلن تتحمل سواد هذا العالم، ستتنفس الكراهية من هذا البيت، ليس اليوم.

«اااااه، اااااه» طفل عنيد غبي، يصِرُّ على زرع البؤس في قلبي.

تدفق الماء وسال على رجلي دافئًا، أشعر بوليدي يشق طريقه، رأسه تتدلى، سحبته بكلتا يدي، أصرخ تارة، وأجذبه نحوي تارة أخرى، كان جسدي يغلي، كبركان ثائر ففاض عرقي كحمم بركانية، امتزجت رائحة العرق برائحة البول والبراز العطنة التي تتكوَّم في جردل بركن الغرفة، وبرائحة أنفاسي المتلاحقة، التي كان شهيقها وزفيرها الموت.

سحبت جنيني حتى خرج بالكامل، تحسسته بيدي، إنها أنثى! بكتْ كثيرًا، علمتْ ما ينتظرها من سخم الحياة، قضمتُ الحبل السريّ بأسناني، وألقمتها صدري الهزيل كوريقة فارغة، فرضعت منه الهمّ والذلّ. كنتُ متعبة، أنفاسي غير مستقرة، أرتجف بردًا وخوفًا، وجسدي كان كتلة عظم وجلد، صرتُ مهلهلة مهترئة، نزعتُ ملابسي المتسخة، ولففتها

بها، ثم تمعَّنتُ في وجهها، إنها جميلة، بل فائقة الجمال، ضممتها بشدة وهمستُ في أذنها «إليزابيث، أسميتُكِ إليزابيث»

-4-

ميج

15 أبريل 1990

شيء غريب، أصبحتُ أعشق الظلام، أسدل الستائر نهارًا وليلًا في وجه الشمس والقمر، وأمنع ضوؤهما من أن يسبح داخل المنزل ويلتهم العتمة، كأنني قدمت روحي قربانًا لبحر الظلام المقدس، أمّا (والتر) فصار غريب الأطوار، ولم أعد أراه تقريبًا، فقد كان يقضي جلَّ يومه بالعلية، وعندما أسأله عن الذي كان يفعله لا يرد، وكأنه لا يراني.

كان يغضب وصوته يرجَّ القصر كهزيم الرعد لمكوثي في حجرة ابنتي القادمة طويلًا، يصرخ في وجهي معترضًا بوجه احمرَّ من الغيظ فيتصاعد الدخان من بين شفتيه.

قلت له مرارًا بأنَّي أشعر بالراحة هنا، ولكنه لم يفهمني، لم يعد يفهمني كالسابق، حتى أنه صار عنيفًا، فذات مرة كاد أن يصفعني على وجهي لولا أنني أوقفته، وأراه يغضب لأتفه الأسباب.

بعدها قررت أن أترك له الغرفة وأنام في غرفة الأطفال، حسنًا، ربما كان هذا أفضل لي، فصوت تلك الطفلة يجذبني بطريقة لا أستطيع وصفها، بكائها ضحكها وسكوتها، يشبه رحيق الزهر الذي يجذب الفراشات حولها.
الوضع غريب أعرف، فلا أعلم من أين جاءت وكيف ظهرت تلك الطفلة، ولكن كل ما بها يجذبني إليها، يجذبني لعالمها الغريب المظلم.
ذات يوم كانت الطفلة تبكي، اقتربت منها ورُحتُ أُأَرجِح مهدها، ولكنها لم تتوقف عن البكاء، فهممت لكي أحملها بين يدي، حينها ظهرت سيدة نحيلة جدًا أمامي، عظامها بارزة، وعيناها غائرتين داخل محجريهما كحفرتين عميقتين، شعرها متسخ أغبر ينتشر على جانبيه شعرات بيض رغم صغر

سنها، حملتْ طفلتها بأظافرها الطويلة المتسخة واقتربت مني وغرست نظراتها المرعبة في عيني، لاحت رائحة الموت من بين ثناياها، فالتصق لساني في حلقي، وارتعد قلبي، وسرت قشعريرة في جسدي، فلقد ظلت واقفة أمامي للحظات مرت كالسنين العجاف، كنت سأخرج من الغرفة وأفرُّ من قبضة الرعب التي اعتصرتني، ولكن حينها قررت طفلتي الخروج إلى الحياة، جاءني المخاض في هذه اللحظة، قررت ابنتي (إليزابيث) أن تنير هذه الغرفة المظلمة بمجيئها للحياة.

(إليزابيث)

-1-
والتر
15 أبريل 1990

كنت أقيم تقريبا في العلية وأنا أقرأ يوميًا (مذكرات بيكي) التي أدمنتُها، وصلتُ لهذه الصفحة التي تحكي تفاصيل يوم مشؤوم، مذكرات هذا اليوم جعلت شعر رأسي ينتصب ذعرًا..

(مذكرات بيكي) 15-8-1970

(لم أستطع الكتابة الأسبوع الماضي، كانت أيام سيئة سوداء.
وضعت أمي جنينها في بداية الأسبوع، ولكن كل شيء تغير حينها.. كل شيء تدمر..
فأختي التي وُلدت كانت فتاة بيضاء، جن جنون أبي وهو ينظر إليها ولأمي..
أقسمت أمي وهي متعبة أن هذه ابنته، وأنها لم تخنه.

ولكنه لم يصدقها، لم يصدقها على الإطلاق..
اقتربت لأقبل أمي وأختي ولكنه ركلني بقدمه وأبعدني، بعدها رأيت الجحيم داخل عينيه المتأجِّجَتين،
أمسك بسكين واقترب من أمي، لم يمنعه أحد على الإطلاق، ودون أن ترتجف يداه ذبح أمي وأختي، أمام عيناي المذعورتان، لم يبال بوجودي على الإطلاق، بل لم يلحظ وجودي، لم يسمع صراخي وبكائي، كأنه كان في عالم آخر.
ثم جفف يده من الدماء، كأن الذي يلوثها مجرد لون أحمر وليس دماء، ونزل لكي يكمل طعامه هو والجميع وهم يضحكون ويبتسمون، كأن شيئًا لم يحدث.

لم أتذوق الطعام هذا اليوم، ظللت عاكفة في غرفتي أبكي وأرتجف، فمازالت غرفة أختي (إليزابيث) غارقة بدمائهما ولم يكترث أحد في تنظيفها حتى.
فكرت أن أتصل بالشرطة، ولكني خشيت أن يلحق أبي بي الأذى كما فعل بأمي وأختي (إليزابيث).

لم أفهم هل اللون أبيض جريمة؟! كانت فائقة الجمال، لا أنكر أنني شعرت ببعض الغيرة عندما رأيتها، ولكن تلاشت الغيرة بعد أن رأيت أبي وقد تحول إلى وحش مخيف وهو يقتلهما..
دفنت رأسي في الوسادة، كاتمة صراخي ودموعي، وهتفت باسم أمي مرارًا، بعدها شعرت بأحد ما يضع يده على شعري، كدت أحسبها روح أمي قد لبت نداءاتي، ولكني عندما رأيتها صُعقت.
سيدة نحيلة جدًا مخيفة بشكل مريب، كانت ممسكة بطفلة صغيرة تشبه أختي (إليزابيث) تمامًا..
اقتربت وهي تضحك بجنون، ضحكات كادت أن تسلب روحي من بين أضلعي.)

******

أغلقت المذكرات سريعًا فلقد سمعت صوت صراخ (ميج)، نزلت وقلبي كان يجرني خلفه، فوجدتها نائمة على الأرض في الظلام، في غرفة الأطفال وبين قدميها طفلة صغيرة جميلة جدًا رغم أن الدماء كانت تغطيها، ولكني لاحظت ملامحها الحسناء،

بيضاء كالثلج وتضرَّج خداها باللون الأحمر وكأن الرمَّان انسكب عليهما، وعيناها خضرواتان كلون الزرع، كلون الخير، ملامحها لم تشبهني ولا تشبه (ميج) على الإطلاق.
حملتها وقبلتها بعد أن مسحت الدماء من عليها بمنشفة صغيرة.
«(إليزابيث)، هذا الاسم يليق بكِ حقًا» قلتها وأنا أجلس بجوار زوجتي والتي كانت تبكي.
ظننت أنها دموع الفرح، ناولتها (إليزابيث) لكي تحملها، ولكنها رفضت وأبعدتها عنها وقالت
«هذه ليست ابنتي، ليست ابنتي»
سألتها مستغربًا
«ليست ابنتك كيف؟ ابنة من إذن؟!»
لم تنطق، ولكنها ظلت تنظر في خوف لركن شديد الظلمة في الغرفة.
«(ميج) أعتقد أن هذه أعراض اكتئاب بعد الولادة، أمسكي بابنتنا (إليزابيث)، وانظري إليها، كم هي جميلة حقًا»
أخذتها وهي مازالت تنظر لركن الغرفة، وقالت وهي تلمسها في حنان

«إنـها جميلـة جدًا، أعرف هذا، رأيتـها قبل أن ألدها عدة مرات، ولكنـها ليست ابنتـي»
ضممت (ميج) لصدري، وساعدتـها على النـهوض، وقلت ساخرًا ونحن نتجه لغرفتنا
«اعتني بها في الوقت الحالي حتى نعثر على ابنتنا»

قمت بتبديل ملابس (ميج) المتسخة بأخرى نظيفة، ولكنـها كانت ترتجف، راودني إحساس أن هذه رجفة خوف، وليست رجفة برد.

مرت الأيام كانت (ميج) فيـها ترفض إرضاع (إليزابيث) إلا إذا أجبرتـها.
فتبكي وهي تردد
«إنـها ليست ابنتـي، أنت لا تفـهم»
ثم أحاول تـهدئتـها، ولكن هنـاك أشياء كانت تحدث بالفعل جعلتني أصدق (ميج) في بعض الأوقات.
فصوت (إليزابيث) كان ينبعث من غرف المنزل أجمعها، صوت بكائـها وصوت تنفسها وصوت

ضحكاتها الضعيفة، فالمنزل بأكمله تسكنه روح (إليزابيث)، حتى أنني أصبحت أخشى الاقتراب منها.

انشغلت بولادة (ميج) ولم أقرأ المذكرات من وقتها، ولكن بعد فترة صعدت إلى العلية لأكملها..

(مذكرات بيكي) 9-9-1970

(أنا أكتب الآن وأنا في العلية، حبست نفسي في هذا المكان، الجميع بالأسفل قد جنَّ جنونهم، يتعاركون ويريدون قتل بعضهم بعضًا، هربت منهم، حاولت الخروج من المنزل. لكنه كان موصد بإحكام، فصعدت هنا. أغلقت الباب علي وأنا أسمع صراخ الجميع، وضعت يدي على أذني ولكن صراخهم كان يخترق الجدران.

ثم توقف الصراخ فجأة، وتوقفت كل الأصوات، حاولت فتح باب العلية لكي أرى ماذا حدث ولكن الباب موصد، حاولت مرارًا وفشلت.)

(مذكرات بيكي) 10-9-1970

(مر يوم كامل دون أن يأتي إلي أحد، يوم كامل وأنا حبيسة في هذا المكان المخيف، يرتجف ضوء المكان كما جسدي تماما.
وحدي هنا، جائعة، بردانة و.. خائفة.)

(مذكرات بيكي) 14-9-1970

(لم أعد أقوى على الكتابة بعد الآن، خارت قواي وضعفت، مازلت حبيسة هنا، حسنًا لم أعد وحدي، فهناك طيف تلك السيدة النحيلة المخيفة وابنتها التي كانت تشبه أختي (إليزابيث) تمامًا، ولكن هذا يخيفني أكثر.

لماذا لم يأت أحد منهم؟ هل قتلوا بعضهم بعضًا؟!)

(مذكرات بيكي) 15-9-1970

(أ نـ اا أ مــ ـو ت)

****

أغلقت المذكرات وأنا أرتعد، حاولت التقاط أنفاسي، كانت تلك آخر كلمات كُتبت بالمذكرات، كلمات بخط رديء فعلى ما يبدو أنها فقدت قواها، فلقد ماتت (بيكي) هنا، في العلية، ومات أهلها جميعًا على ما يبدو في هذا المنزل.
هرولت وأنا أتعثر، فلمحت هيكلًا عظميًا مكومًا في الركن ومن حجمه بدا لي أنه عظام طفلة صغيرة، عمرها في حدود الثمان سنوات أو أكثر، لم أر هذه العظام من قبل، لقد بحثت في أركان الغرفة بمصباحي عدة مرات في الأيام السابقة ولم يكن

موجود، ثم لاحظت كلمات محفورة على الجدران، كلمة واحدة إذا صح التعبير، (إليزابيث)، خارت قواي، أشعر بالغرفة تضيق حولي، أشعر بجدران قلبي تتداعى، فنزلت مهرولًا، خائفًا، عازمًا الرحيل من هنا، بحثت عن (ميج) والتي لم تكن في غرفتنا كعادتها، فخمَّنتُ على الفور أنها في الغرفة المظلمة.
دخلت هذه الغرفة الكئيبة، ولكني لم أجدها، سمعت صوت (ميج) يغني أغنية لـ(إليزابيث) داخل الحمام الذي بهذه الغرفة، فتحت الباب ووجدت ما صعقني.
فلقد قتلت (ميج) ابنتنا، أغرقتها في حوض الاستحمام، قتلت (إليزابيث) وأصبحت جثة صغيرة تطفو على سطح الماء، كلوح ثلج تقوم بإذابته.
غمرني الجنون، انتشلتها وسط اعتراض (ميج) الغير مفهوم، فأبعدتُها عني بقوة، فارتطمتْ أسنانها في حوض الإستحمام، تركتها تنزف وتوجهت إلى السرير ووضعت (إليزابيث) عليه وأنا أحاول تدفئتها وإنعاشها.
فاجأتني (ميج) بضربة قوية من الخلف بقطعة حديد أخلت بتوازُني، فوجدت نفسي دون أن أدري أسحب

تمثال صغير كان بجانب السرير، فكلانا قد سيطر الجنون على عقلينا، وكلانا يريد قتل الآخر!

-2-
كاثرين

2 يونيو 1821

بعد عدة أيام من ولادتي لـ(إليزابيث) وجدت (ماري) تفتح الباب في حرص ممسكة بشمعة صغيرة، نظرت لابنتي والتي تساقطت ظلال الشمعة على وجهها فارتعدت، وبدأتْ في البكاء، فهي ابنة الظلام ولم تعتاد على النور. دخلتْ (ماري) وأوصدتْ الباب، كانت أول مرة تدخل العلية منذ فترة، كتمت أنفاسها لكي لا تستنشق مزيج الروائح الكريهة الذي أعيش فيه، ثم سألتني وهي مازالت محافظة على مسافة بيننا

«سيدة (كاثرين)، متى ولدت طفلك؟»

أجبت بصوت واهن

«منذ يومين أو أكثر، لا أعرف، منذ وفاة أبي»

«خمسة أيام سيدتي، فالسيد (ريتشارد) وافته المنية منذ خمسة أيام»

هززت رأسي دون رد، كان الكلام يرهقني، وكنت بحاجة لهذه الطاقة التي تمتصها مني (إليزابيث) عبر صدري.

ابتلعت (ماري) ريقها وهي تقترب ببطء وهمست «لقد سمعت بكاء طفلك يا سيدتي، ربما لو سمعته السيدة (مارجريت) لـ....»
وأدتُ دمعة وُلِدتْ داخل مقلتي، أعرف تماما ما تنتويه أمي حتى لو لم تنطقه (ماري).
قربت (ماري) ضوء الشمع إلى ابنتي والتي بدأت في الصراخ مجددًا وهتفت وعيناها يتراقص داخلهما لهيب النار
«يا إلهي، ما أجمله، هل أعطيتْيه اسمًا؟»
«(إليزابيث)»
«إنها فتاة إذن، ما أجملها»
رفعت عيناها إلى وجهي، فبدا الندم يقرع حدقتيها، فأبعدتْ نظرها عني وقالت
«أنا.. لم أحضر لكِ طعام في الأيام الماضية،لقد.. لقد انشغلتُ بوفاة السيد (ريتشارد)، ألزمتني السيدة (مارجريت) ببعض المهام، سأعتني بكِ يا سيدتي وبالسيدة (إليزابيث)»
كانت تكذب، وكنت أعلم أنها تكذب، فلقد أهملتني قبل وفاة أبي بفترة طويلة، فنظرت لها مطولًا، نظرات

كالأنياب تنهش نفاقها، فارتبكت وهمَّت بالخروج، ثم قالت وهي تشير لـ(إليزابيث)
«حاولي أن لا يظهر صوتها، فهذا معناه تصريح بدفنها» ثم تركتني وخرجت.
نظرتُ لابنتي والتي كانت نائمة هادئة، ما ذنبها؟ خانتني دمعة سقطت سهوًا على خدها فجفلتْ وبكت ثانية كأنها تريد للعالم كله أن يعلم بوجودها، ضممتها إلى صدري، حاولت أن أمنع بكاؤها حتى كادت أن تختنق بين يدي، رحت أهدهدها وأغني لها أناشيد لطالما غناها لي أبي، عادت (ماري) بملابس لـ(إليزابيث) من ملابس أطفال الخادمات، ورداء نظيف لي، وأحضرت بعض الطعام الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، التهمته في اللحظة ذاتها الذي وضع فيه أمامي، عضضت أناملي عدة مرات من جوعي، وتجرعتُ الماء في شربة واحدة. ثم سلمتُ صدري لـ(إليزابيث) لكي تنال نصيبها من العيش الناشف الذي كان يذبح حلقي ومن الزيت.
مرت أسابيع حرصتُ أن أمنع بكاء (إليزابيث)، كنتُ أحيانا أصرخ بصوت عالي لكي لا يسمع أحد بكاؤها ويسمعون صراخي فقط، أو أطرق على الباب بعنف،

ولكن (إليزابيث) كانت تزيد في صراخها وكأنها تتحداني، ومرة أخرى صفعتُ ابنتي بقوة على وجهها مرارًا، وهتفت وأنا أصرخ
«اسكتي يا حمقاء، ستقتلك، ستعذبك أولًا، فأنتِ لم ترِ الظلام بعد، فقلب أمي مظلم كسواد القبور، اسكتي اسكتي»
(إليزابيث) ستموت في جميع الأحوال، لن تتحمل العيش في هذا المكان العطن الخانق، وأمي لو علمت بوجودها لن تتركها حية يوم واحد، قلبي ينفطر، ينشق لنصفين كلما نظرتُ لها.

كانت (ماري) تزورني مرة وتغيب مرَّات، حتى أتتني في يوم وهي ترتجف.
«سيدة (كاثرين)، لقد علمت السيدة (مارجريت) بولادة (إليزابيث)، إنها تخطط لـ.. لقتلها»

جن جنوني، فلن أجعلها تضع المزيد من النار داخل قلبي، لن تفعل.
«متى؟!» سألتها باكية

«ربما غدًا» ثم تابعت كلامها قائلة
«سأزورك ليلًا سيدتي، بعدما ينام الجميع، سأحضر لكِ طعاما كالسابق، وسأطمئن عليكما»

مرت الساعات، كنت أجوب الغرفة إيابًا وذهابًا، صوت دقَّات الساعه بالخارج يهشمني، أريد أن أمسك الوقت بقبضتي فأخنقه، إنه عدوي الآن، مثلهم تمامًا، (إليزابيث) لم تبكِ اليوم، كأنها وصلت لمرادها، لم تتحمل هذا العالم، قلبها من نور، كاد أن ينطفئ من أول يوم، ولكن هل تعلم أن أمي لن تجعل ميتتها سهلة؟ لن تموت موتة هانئة، ستقوم بتعذيبها لأيام، هذا ما يمزقني.
حل الليل، أعرف هذا فكنت أشعر بأشعة الشمس إذا حل النهار، أشعر بخيوطها تحاول أن تقتحم جدران العلية، وكأنها تعرف أن هذا المكان مظلم بارد، وأشعر بها تبتعد نحو قبر الغروب خائبة الأمل بعدما فشلت في محاولتها لاقتحام العلية. انتظرت قدوم (ماري) كما وعدتني، سمعت صوت خطواتها يقترب، وقفت في مكان مظلم، رغم أن المكان كله مظلم

ولكن هذه البقعة أكثر ظلامًا عن غيرها، فتحتْ الباب، كنت خلفها، غرزت أظافري في عنقها وكتمت صراخها، ثم ضربت رأسها في الحائط، كانت ضربة مباغتة فلم تلحق أن تمنعني.
أخذت ابنتي وأخذت المفاتيح التي كانت بجيب (ماري) وأغلقت الباب ورائي ونزلت.
أطفأت الشموع التي كانت تنير المنزل كله، فعيناي وعينا (إليزابيث) لم تعد تتحملان الأضواء، وستزيد فرصتي في الهروب إذا استيقظ أحد وشعر بوجودي، فأنا أرى في الظلام الآن أفضل منهم جميعًا.

نزلت للمطبخ وأنا في طريقي كنت أطفيء الشموع، جوال الزرنيخ مازال بمكانه كما توقعتُ، يستخدمونه للقضاء على الجرذان والقوارض، ربما أمي قد استخدمته في قتل (مايكل). وضعت كمية وفيرة في جوال الدقيق ثم صعدت بخطوات خفيفة لأعلى، كل هذا و(إليزابيث) على يدي نائمة.
دخلت غرفة أمي وأذبت كمية من الزرنيخ كافية لقتلها في دورق الماء الموضوع بجانبها، ستستيقظ

بعد دقائق لتشرب، ثم بعدها بساعة أو ساعتين كعادتها، ستموت دون أن تشعر بسم ليس له طعم أو رائحة.
دخلت غرفتي، كانت مغطاة بالأتربة ونسيج العناكب، الستائر كانت مفتوحة وضوء القمر كان يقتحم الغرفة، فبكت (إليزابيث) فأسدلت الستائر، فضوء القمر قد أذى عيني وابنتي، واغتصب دجيّ الليل الذي بداخلنا.
هدأت (إليزابيث) وضعت إبهامها داخل فمها تمصه وهي تنظر إلي، وضعتُ الزرنيخ داخل فمها، حاولت البكاء ولكني قد حشرت فمها كله بالزرنيخ فلم تستطع البكاء
والتهمته أنا أيضًا، كأني آكل ثمار الجنة، ليس له طعم أو رائحة ولكني شعرت بطعم الخلاص في فمي.
تحشرجت (إليزابيث) ، ولكني طمأنتها، سنذهب لعالم آخر سويًا، عالم ليس به بشر، فهنا قلوب البشر جميعها قاسية من الحجر، فلقد وُلدوا من رحم الجبال، لا يغرّنَّكِ ألوان هذا العالم، ولا أضوائه، فإنه الجحيم ذاته، يتأجج ويستعر فينير الكون بضوء زائف قبل أن يلتهمهم لهيبه، سنموت في جميع

الأحوال، ولكن هذه ميتة سهلة، لن نشعر بألمها.
غنيت لها أغنيتها التي تهدئها، أكدت لها أن هذا أفضل لنا، السلام الأبدي ينتظرنا، فاطمأنت وهدأت فأغمضت عينيها ونامت (إليزابيث) في سلام، نمنا.. للأبد.

تمت

جـمـيـلـة

-1-

-البقاء لله يا حج (عوض)، شد حيلك.
-إنا لله وإنا إليه راجعون، شكرًا يا (صبري) يابني.
قالها الحج (عوض) دون أن تتبلل عيناه بدمعة واحدة رغم الحزن الذي التهم قلبه، هذا الوجه الخمري الصارم، حياته وآلامه رسموا خطوطا غليظة على وجهه فامتلأ بالتجاعيد، وغزا الشعر الأبيض رأسه، رجل ريفي هو، اعتاد أن يظهر خشونة في تعاملاته حتى مع زوجته التي ماتت، رغم حبه لها ولكنه حسب أن الحب ضعف. ظل ينظر لغرفتهما، كيف بدأت حياتهما، وكيف انتهت بموتها، كأن روحه قد فارقت جسده.

سمعوا صوت طرقات رقيقة على الباب، ثم دخلت (جميلة)، تتوشح بالسواد، وضعت جزء من طرحتها التي تغطي بها رأسها على وجهها، نظر لها

(صبري) نظرة واحدة فقط فارتبك، ونظر للأرض في خجل، ثم أخرج سبحته وأخذ يدوِّر حبَّاتها بأصابعه، وأغمض عينيه يحلم بـ(جميلة)
تنهد تنهيدة طويلة، تخيلها أمامه، باللون الأسود الذي كانت ترتديه، كالليل الهادئ بعد يوم صاخب، ووجهها أبيض كالقمر الذي شق ظلامه، الملتمعتان كالنجوم المتلألأة التي زينته، تخيل نفسه فارسًا يشق هذا الليل ليشرق جسدها الممشوق على وجهه كشمس الصباح.
وجودها أذهب عقله تماما، جعله يسافر في عالم آخر به (جميلة) بين يديه.

-آاااااه يا جمييلة آاااااه.
قالها في نفسه وهو مغمض العينين، يلتقط أنفاسه ويملأ بها رئتيه ليسبح في بحور رائحتها الزكية، كاد قلبه يفضحه، وهو يدمدم داخل صدره، يصرخ باسم (جميلة).

وضعت (جميلة) صينية الشاي أمامهم وانصرفت سريعًا، واكتفى هو بنظرته الوحيدة لها عندما دخلت، ستكفيه هذه النظرة لتسعد أيامه، ستكفيه لكي يحلم بها حلم أسطوري خلال الأيام القادمة.

-يالهواااااي يالهواااااي.
عكر صراخ تلك النسوة تخيلاته الجامحة، كانت النساء تصرخ وتولول بكل ما أوتين من قوة، وكأن المرحومة لن تكون راضية إلا إذا خرج موكبها محفوفا بالعويل، فبعض القرى الريفية عادة ما تجد قلة الصراخ في الجنازات عيب وشيء مخزي وأن المتوفى لم يكن محبوبًا، وهكذا هي قريتهم.
تضايق (صبري) كثيرا، سلبوا من عقله محبوبته، كأن مخالب صراخهن انتزعتها عنوة من داخل رأسه، فحاول إغماض عينه مرة أخرى ليستعيد (جميلة) في مخيلته ولكنها فرت، فشعر بالاختناق كأن وجود (جميلة) يساعده على التنفس،فنزل مسرعًا ينتظرهم بالأسفل.

اتجهوا للمسجد لتأدية صلاة الميت، الحج (عوض) وقف أمام الصندوق الذي يحوي زوجته وقد اعتصر الغم وجهه، فمه يرتعش بكلمات حزينة يودعها الوداع الأخير، بجانبه (صبري) والذي أخذ يربِّت على كتف الحج (عوض) ليواسيه، رفعا أيديهما وقالا الله أكبر خلف الإمام، مازال الحج (عوض) يلجم دموعه أما قلبه فقد كان ينزف دم الفراق، وقلب (صبري) مشغول بـ(جميلة)، (جميلة) فقط.

انتهوا من صلاتهم واتجهوا للمقابر مصطحبين معهم صراخ نسائهم الذي لم ينقطع.

كلب يعوي طاف بجانب المعزين ورافقهم طوال الطريق حتى وصلوا للمقابر الكئيبة بعادتها، عصارة الحزن المرير تتخلل هذا المكان، تربتها ارتوت بدموع الفقد وتلونت بلون الدم، وتصبغت بأشعة شمس المغارب الحمراء.

كانت (جميلة) تقف بعيدًا تنظر باتجاه المقابر وقد بدا عليها الحزن، فاسترق (صبري) نظرة ثانية إليها أعادته للحياة مرة أخرى، وسرعان ما أشاح بنظره بعيدًا عنها، فنظرة واحدة تكفيه، جعلته يحفظ ملامحها، حفظ رعشات ابتسامتها من بين شفتيها

الرقيقتين، وعينيها السوداوان الواسعتان التي لها بريق ينسل بين أهدابها الكثيفة، شعرها الأسود الناعم الذي تغطيه بشال فيسقط ليداعب كتفها، جسدها الممشوق كالإعصار يعصف بخلايا (صبري) كلما فكر فيها.

تنهد تنهيدة قوية، يريد حبسها داخل أنفاسه، أغمض عينيه يتخيلها.

-نفسي أفرح بك يا صاحبي.

قاطعه (جمعة) صديقه المقرب وهو يضع يده على كتف (صبري).

-نحن في المقابر يا (جمعة)، لا الوقت ولا المكان مناسبان لهذا.

-ولكني وجدته مناسبًا.

قالها (جمعة) وهو ينظر لأخته (جميلة) ثم لـ(صبري) بنظرات ذات مغذى، فشعر (صبري) بالخجل وحدق إلى سبحته وهو يحركها دون أن يتفوه.

كان لـ(صبري) وجه أسمر نحتته الشمس بأناملها، وعينان واسعتان كحلاوان تتسم بالخجل كلما أطال أحد النظر إليه. شعره أسود كالفحم ناعم يضع عليه الكثير من كريم الشعر ليمنعه من الانسياب، ويغطيه بطاقية في الكثير من الأحيان، له أنف طويل وشفتان غليظتان، وشارب خفيف يعلو شفتاه.
أما صديقه (جمعه) فقد كان أبيض البشرة مثل أخته (جميلة)، وجهه مستدير ويتميز ببروز عظمتي الوجنتين، وعيناه عسليتان ضيقتان لا يظهر منهما إلا خيط أسود دقيق كلما ضحك، أنفه كبير وشفتاه عريضتان
انتهوا من مراسم الدفن والعزاء، وعادوا جميعًا إلى بيوتهم، ستكون ليلة ثقيلة حزينة على الحج (عوض) بالتأكيد، ولكن في المقابل ستكون ليلة سعيدة جدًا على (صبري).

أقبل الليل وانتشرت الظلماء، القمر مازال في رحم العتمة فلم يولد بعد، وأسراب النجوم افترشت السماء تلمع ببريق خافت، كانت ليلة مناسبة لـ(صبري)،

يستطيع أن يتخفى دون أن يلحظه أحد، خاصة أن أهل القرية قد شربوا كأس النعاس المختمر حتى ثقلت رؤوسهم، واللمبات المعلقة على واجهات البيوت كانت بعضها خافتة والبعض الآخر قد أطفأها أصحابها

خرج (صبري) من بيته، كان ينتظر الليل كعادته ووضع شاله على فمه ولثّم نفسه جيدًا كاللصوص، قلبه كاد أن يقفز من صدره شوقًا وفرحًا وخوفًا أيضًا.

-آاااااه يا جمييلة آاااااه.

ذهب مشيًا إلى القرية المجاورة، حتى وصل إلى المكان الذي يداري فيه سيارته الربع نقل عن الجميع، فقاد سيارته ومن ثم رجع لقريته مرة أخرى دون أن يلحظ أحد، ولكنه اتجه ناحية المقابر.

-آاااااه يا جمييلة آاااااه.

أخذ حديدة من السيارة يحتفظ بها داخلها، ونظر يمينًا ويسارًا وفي كل الإتجاهات، تأكد أنه وحيدًا تمامًا، ثم بدأ بفتح المقبرة، أدخل الحديدة عند القفل وكسره، انفتحت المقبرة، فلمعت عيناه كذئب يربض فوق فريسته، دلف إلى المقبرة، تحرك برص ضخم بجانبه جعلته يجفل فركله بقدمه، حمل جثة الحاجة (سنية) والتي دفنوها منذ ساعات قليلة، ووضعها على كتفه كجوال قمح، كانت حركته بطيئة من ثقلها، تحسس طريقه وخرج بها من قبرها، لحفته نسمة حارة فزادت من نيران رغبته، تحرك بالجثة مسرعًا ثم وضعها في السيارة واتجه ناحية مخزن للمحاصيل قد استأجره خفية يقبع في مكان بعيد عن أعين أهل القرية.

دلف إلى المخزن في حذر، ثم أضاء المصباح والذي ينبعث منه ضوء خافت، مخزن صغير خالي تمام إلا من مرتبة متوسطة الحجم تم وضعها على الأرض، وثلاجة أفقية كبيرة استحوذت على نصف المكان تقريبًا.

-آاااه يا جميلة آاااه.

حمل الجثة من السيارة ووضعها برفق على المرتبة التي على الأرض، انتزع كفنها كأنه يجردها من ملابسها، ثم فتح ثلاجته وأخذ منها قناع من الجلد البشري قد صممه بيديه، أقنع نفسه أن هذا القناع يشبه وجه (جميلة)، وضع القناع على وجه الجثة ثم نزع ملابسه بالكامل واقترب من الجثة قائلًا
-آاااه يا جمييلة ، جميلتي يا محبوبتي.
ألصق وجهه بوجهها وبدأ يقبلها بعنف وهو يردد باسم (جميلة)، مرر يده على جسدها غير عابئا بالتجاعيد التي ملأت هذه الجثة، ولم يبالي بالتقشف التي كانت تملكه السيدة المرحومة (سنية).
-لقد احترقت بنار حبك يا (جميلة)، حولتيني إلى رماد.

كان يتحكم في هذا الجسد الذي بين يديه، سيطر عليه بالكامل، قلَّبه بين يديه وأفرغ فيه شهوته، كان

يتخيل (جميلة) بين يديه، يعلم بالتأكيد أن جسدها ناعم كالحرير، رغم أنه لم يلمسها قط، ولكن هذا الوجه الملائكي لابد أن يملك جسدًا خرافيا.
وعندما انتهى من الحجة (سنية) حملها ووضعها في الثلاجة بجانب باقي الجثث الموجودة.
أسند رأسه على المرتبة وأشعل سيجارة حشيش ونفث دخانها وهو ينظر في رضا إلى الحلقات الدخانية في الهواء، فإنه الآن يشعر بالرجولة، يشعر بالقوة، يشعر بالكمال.

رجع بذاكرته إلى الوراء إلى أول جثة وطأها، منذ عامين تقريبًا، كانت أول حب في حياته، (ناهد) ابنة خالته، كان يحبها منذ الصغر، وشعر بحبها له أيضًا، لكنه لم يصارحها قط، فقد كان يكتفي بعدة نظرات إليها، وهي كانت تبادله نفس النظرات، ربما هي كانت أجرأ منه في بعض الأحيان وكانت تطيل النظر إليه دون خجل.

ولكن في يوم وليلة تقدم لها شاب من المدينة، انتظرت أي ردة فعل من (صبري)، ولكن الصمت هي كانت لغته الوحيدة معها، انتظرته طويلًا، أطالت فترة الخطوبة، وقامت بتأجيل موعد الزفاف مرارًا، ولكنه كان يهاب الرفض كثيرا.
حتى تم تحديد موعد عرسها، تلك المرة دون تأجيل منها، ابتاع جلباب جديدة لهذه المناسبة وذهب وجلس يراقبهما.
كانت سعيدة، انتزعت حبه من قلبها نهائيًا، كأنه نبتة شيطانية زُرعت في غير موضعها، شعر بالألم يعتصر صدره، شعر بالاختناق، شعر بالحقد والكره والحسد.
خرج مسرعًا وعاد إلى منزله يبكي.
-كان يجب أن تكون لي أنا، إنها لي، ملكي أنا وحدي.
ثم ضرب وجهه بكفيه حسرة على ما فقده، حتى جاءه عبر الهاتف خبر وفاة العروسين في حادث أليم، انقلبت السيارة وتوفي كل من فيها.
شعر بسعادة غريبة، فالقدر يثأر له، ينتصر من أجله، الكارما كما يقولون.

وقف بجانب الجميع وقت دفنهما، قيل أنهما ماتا متعانقين، فاقترح البعض أن يتم دفنهما سويًا لكي لا يفترقا أبدًا، عروسان في الجنة.
اشتعل غيظًا بعد سماع تلك الكلمات، كان يحسب أنهما افترقا للأبد. أمسك سبحته ودوْر حباتها بعنف والعويل والصراخ يملآن الأنحاء.

انفض الجمع، ولكنه ظل مكانه، ينظر بحقد لقبرهما سويًا، فقرر أن يفرقهما للأبد.

انتظر حلول الليل، ثم أحضر فأسه، وأخرج جثتها، وأعاد كل شيء مكانه حتى لا يلحظ أحد، ثم حملها على كتفه مسافة طويلة كان يتوارى في كل خطوة بين الأشجار.
عاد إلى المنزل والتراب والتعب يستوليان على جسده، وانتهز فرصة خلو المنزل فالجميع قرر أن يبيت عند خالته وزوجها ليواسونها في مصابها العظيم.

وضع الجثة على سريره، كشف عن وجهها ثم لطمها بقوة حتى كادت أن تصرخ من الألم، وهمس في أذنها
-لن تكوني لغيري يا (ناهد)، لعب القدر لعبته لتكوني لي وحدي، لم يحبك أحد مثلي، حتى هذا المهرج الذي كنت ستبيتين بين أحضانه الليلة لولا هذا الحادث الذي أعادك لي، فرقتكما للأبد كما فعل هو بنا.

حتى وهي ميتة وجدها جذابة، موتها لم يطفئ نار حبه لها، لم يطفئ رغبته تجاهها.
كان يريد تقبيلها وكلما اقترب منها تراجع، قطع كفنها في توتر، وأخذ ينظر لها طويلًا، كانت هذه أول مرة يرى امرأة عارية أمامه، شعر بالإغراء، نوع غريب من الإغراء، شعر بأن جسدها يناديه، فلبى النداء!

وبعد أن انتهى بكى بين أحضانها كثيرًا، دنس هذا الجسد المقدس، طلب مسامحتها، وظل يبكي طوال

الليل ربما ينمحي هذا الذنب الذي أثقل صدره، كان يرتجف عارًا من انحطاطه، ولكن الصباح كان له رأي آخر.

فعندما دخلت الشمس الغرفة ولمعت فوق جسدها وأشعلت رغبته من جديد، قفز في وحل خطيئته متناسيًا الندم الذي كاد أن يغرقه في الليل.
حرك أنامله فوق جسدها مرة أخرى، نفض الندم من على كتفه، شعر بأن هذا حق مكتسب له، فهي ميتة بالفعل فما الذنب الذي يقترفه لكي يندم عليه؟!
كان جسدها باردًا ولكنه لم يمنعه من القيام بعمله، حتى سمع صوت طرقات على الباب ومحاولات لفتحه من الخارج.
انتفض وقام مسرعًا، أخفى الجثة تحت غطاء السرير، ومسح عرقه بقطعة من قماش الكفن، حاول تمالك نفسه وأنفاسه، ثم فتح الباب ولكنه حرص أن لا يدخل أحد الغرفة.
-أمَّا؟! لماذا جئتِ الآن؟! لماذا تركتِ خالتي وحدها؟.

-جئت لأطمئن عليك يا ولدي، توقعت أن تحضر لزيارة خالتك في الصباح، فقلقت عليك، هل أنت بخير؟.
-أ.... أنا بخير يامَّا.
قالها وقد نبتت حبات العرق فوق جبينه من التوتر وضعت أمه يدها على وجهه لتقيس حرارته وقالت
-هل أنت محموم؟! أشعر بأنك مريض، وجهك أصفر و(مخطوف).
-قلت لكِ بخير يامَّا، اذهبي أنتِ الآن لخالتي، وسأحضر في الليل، ولكن أنا بخير.
حاولت أمه النظر داخل الغرفة ولكنه قد أغلقها تمامًا فخرجت والحيرة تعلو وجهها.
أيقن صبري حينها أنه أوقع نفسه في مصيبة، ويجب أن يتصرف في هذه الجثة عاجلًا غير آجل.
خبأ الجثة تحت السرير ووضع فوقها بعض الأغطية وأغلق باب غرفته بالمفتاح من الخارج، ثم خرج مسرعًا إلى القرية المجاورة لقريتهم ففيها مالك مخزن خضروات وفاكهة كان صبري ينتوي شراء المخزن الذي على أطراف القرية منه ليخزن فيها المحصول الذي يحصده من أرضه، ولكنه كان صغير

ولا يناسبه، أما الآن فهو مكان مناسب ليخفي فيها جثة (ناهد).
لحسن حظه أن المخزن لم يتم استئجاره حتى الآن، فأنهى الإجراءات في وقتها، ثم عاد مسرعًا إلى بيته ووضع الجثة في الجرار بعدما تأكد أن لا أحد يراه، واتجه إلى المخزن مرة أخرى لكي يخفي جثة (ناهد) فيه.
وضعها على الأرض، ثم تركها ورجع إلى بيته، جلس على سريره وفكر في الليلة الجامحة التي عاشها معها، اشتاق إليها، لأنفاسها.. حسنًا.. لم يكن لها أنفاس، ولكنه صنعها في مخيلته، ثم نام وهو يعد نفسه بليلة أخرى معها.

في الصباح ارتدى ملابس نظيفة، وتعطر بعطره المفضل، ثم ابتاع ثلاجة لكي يحفظها جيدًا ويجدها كلما احتاج إليها.
ولكن بعد عدة أيام شعر بالفتور تجاهها فجسدها البارد المتيبس لم يعد يثيره كالسابق.

إنه يشتهي اللحم الطازج الدافئ أكثر، الجثث التي لم يبرد جسدها بعد، ومازالت رائحة تكفينهنّ العطرة تتبض من بين صدورهن.

فكان جل ما يسعده أن يسمع خبر وفاة إحداهن، فيهيئ لها نفسه، يحيا معها من جديد، فبدون أجسادهن الساكنة يشعر بأنه بدون روح، قلبه ينبض فقط لهن.

-آاااااه يا جمييييلة آاااااه.
أفاق من استعادة ذكرياته هذه، وهو يفكر في (جميلة) ورائحة (جميلة) وجسد (جميلة)..
كلمات صديقه (جمعة) يتردد صداها في عقله مرارًا، إنه يعطيه الإذن للتقدم لخطبة (جميلة) أخته، فابتاع بدلة خصيصًا لهذه المناسبة وقرر أن يذهب لبيتهم في الصباح الباكر.

-2-

طق طق طق
-العواف يا حج (محمووووود).
فتح (جمعة) الباب وهو ينظر لـ(صبري) المتأنق على غير عادته باستغراب، فاحمرت وجنتيه خجلًا ونظر للأرض وهو يحرك سبحته بأنامله، ثم قال
-أ.. أنا... أريد أن أشرب معك ومع الحج (محمود) شاي يا (جمعة).
ابتسم (جمعة) في سعادة فقد خمن ما يريده صديقه وأدخله للدار.

جلسوا ثلاثتهم في غرفة مغلقة، ظل (صبري) أكثر من ربع ساعة صامتًا ناظرًا للأرض وهو يحرك سبحته، يشعر بأن عيون صديقه ووالده تنهشان

فيه، يخترقون جسده بنظرات مفترسة، فقد كان (جمعة) والحج (محمود) منتظران منه أن يتكلم فكانا يقولان عبارات مثل "منور يابني" وكان (صبري) يرد بهزة خفيفة من رأسه ويضع يده على صدره شاكرًا.

شربوا الشاي ومازال صبري صامتًا، فنظر الحج (محمود) لابنه (جمعة) نظرات ذات مغذى وكان يهم بالخروج لولا أن (جمعة) تحدث قائلًا

-ماذا تريد يا (صبري)؟ أعتقد أنه شيء مهم.

سكت (صبري) قليلًا وهو يعد حبات سبحته ثم أردف متلعثمًا

-أ... أنا.... احم.

حدقا إليه وانتظرا أن يتفوه ثم تابع

-بعد إذنك طبعًا يا حج (محمود) وأنت يا (جمعة)، فأنا... أريد... أن.... أتزوج (جميلة).

خفق قلبه بقوة وارتعشت يداه حتى أن سبحته قد سقطت منها، أما (جمعة) فقد انفرجت أساريره ونظر لأبيه والذي لم يستطع أن يقرأ ما يدور بخلده، فأردف (جمعة)

-ونحن يشرفنا نسبك يا (صبري)، فالجميع يعلم بأخلاقك الحميدة.
-بالطبع بالطبع، ولكن سآخذ رأيها أولًا.
رددها الحج (محمود) فأتبعه (جمعة) بنظرات متعجبة وكأن أبوه قال شيئًا محرمًا، فوجه حديثه مسرعًا إلى صديقه (صبري)
-ولكن اطمأن يا صاحبي، ستقبل بالتأكيد.
ابتسم صبري في خجل وهو مازال مطأطئ رأسه، ثم قام من مكانه عازمًا الرحيل وهو مازال ينظر للأرض في خجل وقال وهو يمسك سبحته بقوة
-أستأذن أنا وسأنتظر رد (جميلة).

*****

-جميلة، تعالي يابنتي.
جلست (جميلة) بجوار أبيها والذي كان يأخذ حيز كبير من الكنبة بسبب جسده الممتلئ، ثم أردفت
-خير يابا؟.

نفث (جمعة) بعض الهواء في ضيق وكأنه كان لا يريد استشارتها في هذا الأمر ولكن أبيه تجاهله تمامًا ثم قال
-بدون مقدمات، (صبري) تقدم لخطبتك، فما رأيك؟!.
-يا ألف نهار أبيض، يا ألف مبروووووك، لولولـ.
اخرسي يا ولية. أسكت الحج (محمود) زوجته والتي كانت قد بدأت في الاحتفال للتو
-(صبري)؟!
تساءلت (جميلة) في استنكار
-(صبري) صديقي يا (جميلة) أنت تعرفينه.
-ولكن...
-ولكن ماذا؟! أدب وأخلاق ودين، وفوق كل هذا رجل (كسِّيب).
قالها (جمعة) محاولًا أن يبعد أي محاولة لرفضها.
-(صبري) الكل يحلف بأخلاقه بالفعل، ولكني أريد رجلًا أستند عليه، أما (صبري)... (صبري) يريد من يستند هو عليه، (صبري) لا يُعتمد عليه، إنه يخجل من خياله، فكيف سيبني بيتاً؟!.
.ماذا تقصدين؟! هل هناك رجل في حياتك يا بنت الـ...

-(جمعة)!!..
رفع (جمعة) يده ليضرب (جميلة) ولكن أبوه أوقفه بكلمة واحدة، فهمّ بالخروج وهو يردد بتهديداته لـ(جميلة)
-إذا شممت رائحة وجود رجل في حياتك يا (جميلة) سأقتلك، هل تفهمين، سأقتلك وأنقذ شرف العائلة.
قالت (جميلة) وهي تبكي
-لم أقصد شيء يابا، كل ما أردت قوله هو أنني أعتبر (صبري) أخ، إنه لا يصلح أن يكون زوج، سواء لي أو لغيري.
سكت الحج (محمود) دون أن يتفوه بحرف، فكان مقتنع بكلام (جميلة) قبل أن تنطق به، وكان سيصبح تعيسًا لو وافقت (جميلة) على (صبري).
فقال لها
-كما تشائين يا ابنتي.

******

قابل (صبري) صديقه (جمعة) في الطريق أثناء ذهابه للأرض، فارتبكا، فسأله (صبري) في توتر
-هل سألتم (جميلة)؟.
-أ... نعم. بالطبع.. كل شيء يسير على مايرام لا تقلق.. إنها فقط تفكر، (دلع بنات) كما يقولون، ولكنها حتمًا ستوافق فلن نجد أفضل منك، ولكن اتركها يومين.
كانت كلمات (جمعة) كالأنغام على أذن (صبري)، فتركه ذاهبًا لعمله وقلبه ينشد على عزف دقاته وظل طوال اليوم يفكر في اليوم الذي ستكون (جميلة) بين يديه، وفي كلمات الحب التي سيغرق سمعها بها وفي جسدها الذي ستلمسه أنامله.

-آاااااه يا جمييييلة آاااااه.

وعند عودته إلى بيته صُدِم عندما وجد (جميلة) تقف عند البحر وتتحدث مع (سعد) أحد جيرانها، كانت تضحك وتبتسم، وملامحهما تخبره أنهما عاشقان.

توارى بين الأشجار وقلبه الذي كان ينشد في الصباح صار يبكي من الوجع، انتظر حتى رحل (سعد)، ثم ظهر لـ(جميلة)، انتفضت وذعرت، تفلت داخل صدرها وسألته

-(صبري)؟!! منذ متى وأنت هنا؟!.

-هل تحبيه؟!.

كان يحرك حبات سبحته في عنف حتى كادت أن تقتلع

-(صبري).. أعلم أنك تقدمت لخطبتي، وأعرف أنك خلوق ومتدين، ولكني أعتبرك أخ لي.

كلماتها جعلت الدماء تغلي في عروقه، وكأنه سيق من قلبه وألقي في جهنم، وجعلت النار تخرج من بين شفتيه مصاحبة لكلماته، فقال وقد علا صوته قليلًا

-أجيبي سؤالي، هل تحبيه؟!.

-أجل، وسنتزو....

لم تكمل كلماتها، دفعها (صبري) بقوة لتسقط في البحر، كانت تصعد وتهبط، تحاول أن تلتقط بعض الأنفاس، ولكنه كان ينظر إليها دون حراك، ثم أدرك شيء، أدرك أنه هكذا سيخسرها للأبد، فقفز وراءها،

أمسك برأسها وأغرقه أكثر، كانت تقاوم، تحاول الفرار من الموت، ولكن الموت كان ممسكًا بها دون تردد، حتى سكنت تماما.

-آاااااه يا جمييييلة آاااااه.

حملها وخرج من الماء، إلى حيث يوجد الناس، وصرخ باكيًا
-جمييييلة مااااتت، حاولت إنقاذها ولكني فشلت، جمييلة انتحرت.

كان يحملها ويمشي بها في أرجاء القرية كالمجنون، التف حوله الناس وهم يضربون كفوفهم مستغربين. جاء (جمعة) ركضًا ليتأكد من الخبر الذي انتشر بسرعة في البلد كالنار في الهشيم، وعندما رآها أمامه سقط على ركبتيه وهو يصرخ ويضع التراب على رأسه، شعر بأنه سبب انتحارها بسبب كلماته القاسية قبيل خروجه.

كان مشهد درامي، حتى بكاء (صبري) لم يكن مصطنعًا، يهيئ لك أن البلل الذي كان على ملابسهما بسبب دموع (صبري) الغزيرة.

فقد الأب نطقه عندما علم بالخبر، وأمها كبرت مائة عام في لحظة، وظل (جمعة) داخل غرفتها حابسًا نفسه ويصرخ بصوت عال -سامحيني يااختي، سامحيني يا جمييلة، أنا السبب.
أما (صبري) فقد كان ينظر للغرفة التي يتم تغسيل وتكفين (جميلة) فيها بشغف، عيناه تلمعان، إنهم يجهزونها له في الداخل، يعطرونها بعطره المفضل، ويلبسونها أفضل الثياب وأنظفها، كل هذا له فقط.

نظر لساعته، مازال الوقت نهارًا، إنه ينتظر الليل بفارغ الصبر، قلبه يدق مع دقات ساعته -أقبل أيها الليل، أقبل.
بدأ التوتر يغزو روحه، فحرك ساقه بعنف، وألقى نظرة على الشمس خارج النافذة، فما زال قرصها ينبض بالحياة.

-تبًا.
ضرب قدمه بقبضة يده، الوقت لا يمر، يشعر بأن نواميس الكون تقف حائلًا بينه وبين (جميلة)، الشمس تأبى الرحيل، وكأنها تسلط ضوؤها عليه في مشهد مسرحي «أن اقتلوه، هذا قاتل (جميلة)»، نظر لساعته مرة أخرى، حرك حبات سبحته بعنف شديد، العرق بدأ يغطي على ملامحه، لو كان الزمن رجلًا لقتله.
-هل أنت بخير يا (صبري)؟!. سأله (رحيم) جارهم وهو يضع يده على كتفه
-نعم، نعم.
أجابه (صبري) وهو يمسح عرقه بعنف.

خرجت (جميلة) وهم يحملونها في التابوت والصراخ والعويل مصاحبًا لها، تصارع (صبري) لكي يكون ممن يحملونه، لمس الخشب وتحسسه وقال في نفسه
-هكذا عرشك يا (جميلة)، إنهم يزفونك إليّ.

وبعد الصلاة عليها حملوها إلى المقابر، فتحوا التابوت فبرقت عيناه، شعر بشهوة لم يشعر بها من قبل، رغم أنها مغطاة بالكامل، يريد أن يخطفها من بين أيديهم في هذه اللحظة، حملها معهم وهو يتحسس جسدها المغطى بالكفن، قلبه كاد يقفز ويدخل القبر معها لينام بجوارها.

-آاااااه يا جمييييلة آاااااه.

نظر لقرص الشمس، بدأ ضوؤها يخفت، بدأت تتوارى لتدخل قبو الظلام معلنة رحيلها، إن حلمه أوشك أن يتحقق.
رحل الجميع وهم ينفضون عن ملابسهم التراب متجهين لبيت الحج (محمود) ليواسوه، أما (صبري) فاتجه مباشرة إلى المخزن، حيث تتراكم عشيقاته فوق بعضهن في الثلاجة.

دخل المخزن وفتح الثلاجة، وقال وهو يتحسس أجسادهن الباردة

-الليلة ستأتي (جميلة)، ستشعر بالغيرة إن رأتكنَّ هنا، لن تفهم أنني كنت أتخيلها في أجسادكن، يجب أن تكون هي ملكة هذا المكان، هي وحدها.

بدأ يخرجهنَّ واحدة تلو الأخرى حتى أن منهنَّ من تفسخ بين يديه وتساقط لحمها، كانت من بينهنَّ فتاة صغيرة في العاشرة من عمرها، لم تسلم منه، كان جحيم شهواته مستعرًا في هذه الليلة، لم يمت أحد إلا هذه الطفلة سواء في قريته أو القرى المجاورة، لم يجد عناءً في إقناع نفسه بأنه أمر عادي، طالما هي جثة فلا ضير.
تركهنَّ على الأرض وبدأ يجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا وهو يسترق نظرة للخارج منتظرًا قدوم الفرس الأسود، الليل.

ولما جاء الليل واكتست السماء بالظلام فتح الباب، تأكد من خلو المكان، رغم أن المخزن يقع في أطراف القرية بعيدًا عن أعين البشر ولكنه كان يأخذ حذره، لثَّم نفس جيدًا، وحمل الجثث واحدة تلو

الأخرى ووضعها في سيارته بحذر ثم غطاهنَّ بغطاء أسود يستخدمه للمحاصيل.
كان يعرف وجهته، هناك أرض قريبة منه تم حفرها للبناء عليها، ولكن مشاكل بين الورثة جعلتهم يتوقفوا عن البناء، فوضع الجثث واحدة تلو الأخرى في هذه الحفرة وبدأ يغطي أجسادهن بالتراب، سمع صوت خطوات تقترب، توقف عن العمل وقلبه أيضًا كاد أن يتوقف عن العمل.
توارى خلف سيارته، رأى شخصًا قادمًا، فانخفض وهو يلصق نفسه بالسيارة.
مر الشخص الذي كان يترنح من جانبه، فتنفس (صبري) الصعداء، وخمن أن هذا الشخص مسطول تمامًا، فلن يلحظ وجود (صبري) حتى لو كان واقفًا أمامه.
-حمدًا لله.
هتف (صبري) وهو مستمر في دفن الجثث.

شعر بالإنهاك والتعب الشديد، ولكن هيهات، فلن يقف شيء بينه وبين (جميلة) الليلة.

-آاااااه با جمييلة آاااه.

تسلل عائدًا إلى بيته، كانت أمه نائمة في غرفتها، فدخل مسرعًا إلى الحمام، ثم استحم ووضع عطره الذي ابتاعه خصيصًا حين تقدم لـ(جميلة)، وارتدى البدلة التي ابتاعها لهذا اليوم أيضًا، ونظر لنفسه في المرآة في سعادة وهو يمشط شعره، ثم خرج مرة أخرى متجهًا للمقابر لينقب عن كنزه الذي طالما أراده.
بدأ بفتح المقبرة حتى أخرج جثتها، احتضنها بعنف، ثم حملها ووضعها في السيارة واتجه مسرعًا إلى بيت الزوجية، المخزن.

وضعها برفق على المرتبة، نفض التراب من عليها، ثم كشف وجهها، كانت عيناها شاخصة، فشعر بالخوف، الرعب، كانت نظراتها مخيفة، معاتبة، شعر بأن الدموع ستتساقط من بين مقلتيها، وكأن الروح قد دبت فيها.

حاول إغماض عيناها مرارًا ولكن دون جدوى.

-آاااااه يا جمييييلة آاااه. قالها بصوت مرتفع

بدأ بتقبيلها ثم نزع ربطة عنقه، وبدأ يقص ردائها الأبيض، يجردها من ملابسها، كان يعتبره ثوب زفافها، واليوم هو يوم عرسه، فالمشروب الجنائزي المسمى بالقهوة كان مذاقه حلوًا كالشربات في فمه اليوم، حتى أن أصوات الصراخ التي ملأت الدنيا صباحًا كانت كالزغاريد بالنسبة له، كانوا يزفونها على عريسها.
كشف جسدها بالكامل، فركع على ركبتيه، لقد أصبح أسيرًا لسحر هذا الجسد الخرافي، ثم ابتسم ابتسامة خبيثة، أصبحت ملكه، سيلتهمها.
نزع ملابسه في عجل وهو يغني ويرقص بهيستيريا، حتى أن ضوء الغرفة شاركه هذا الرقص حتى انقطع تمامًا.
أطلق سبَّة بذيئة، فهذه الليلة يحتاج فيها للضوء ليمتع عينيه بالنظر إلى جسد (جميلة).

حاول إصلاح المصباح فأحرقت يده سخونته، فأمسك بكفن (جميلة) ولف به يده وحرك المصباح قليلًا حتى عاد الضوء للغرفة مرة أخرى، استدار ليجد جميلة نائمة على بطنها، وقد أدارت ظهرها له، لقد تحركت!

ابتلع لعابه في صعوبة، وهو يتقدم نحوها ببطء ويردد متلعثمًا

-جـ.. جمـ.. جمييييلة!!.

أمسك بها بيد مرتجفة ثم حركها لتكون بمواجهته، ولكن لما رآها فزع، وأطلق صرخة كادت أن تحيي الموتى، كان وجهها متحلل، أشبه بالعظام الذي كانت تكسوه بضع من اللحم المتعفن، وعيناها تتدلان من محجريهما.

أخذ يرجع إلى الوراء ويزحف كالطفل، نظر إليها مرة أخرى ووجدها (جميلة)، (جميلة) التي يعرفها بملامحها الجذابة، فأقبل نحوها وركلها بقدمه بعنف وصفعها على وجهها وأمسك بشعرها وزعق

-هل تريدين إخافتي يا (جميلة)؟!.

وفي خضم غضبه الجارف قبلها بعنف، حتى كادت رأسها تنخلع، حاول وطأها ولكنه لم يستطع.
كل شيء ممهد أمامه، فتاة أحلامه وحب حياته، عارية بين يديه، وجسدها ساكن لا يتلوى ولم يمنعه، ولكن على الرغم من ذلك لم يستطع أن يدنس قدسيته، لم يستطع أن يقتحم هذه الحصون.
فزاد غضبه، لكمها بكل ما أوتي من قوة، حتى سمع عظامها تتكسر، ثم احتضنها بقوة، وقال لها
-لماذا ترفضيني، أنا أحبك، أحبك يا (جميلة)، اتركيني أعبث بجسدك.
حاول مرة أخرى ولكن كل محاولاته باءت بالفشل، فأطلق صرخة غضب، وهو يركلها بقدمه، ثم حملها وألقى بها داخل الثلاجة وعاد إلى بيته.
لم ينم تلك الليلة، وكأن فراشه وُضِع فوق فوهة بركان ثائر، وأشعلت جمراته غيظه وغضبه، ولأول مرة يشعر بالنقص، يشعر بأن رجولته قد ذبحت، وعلى يد من؟! (جميلة).
فكر طوال الليل في حلول، هناك حبة زرقاء سمع عنها، وأعشاب وكريمات، كل هذا قرر أن يقوم بتجربته من أجلها فقط.

انتظر الصباح، ولعل هذه هي أول مرة ينتظر فيها الصباح بشغف، وكأن نور الشمس صار صديقه بعدما كان ألد الأعداء.

ذهب لصلاة الفجر، ثم خرج ينتظر أن تفتح الصيدلية الموجودة بالبلدة أبوابها.

كان يجلس أمامها، عيناه منتفختان متورمتان لم تذق طعما للنوم البارحة قط، اقترب الدكتور (ثروت) وسأله باستغراب
-(صبري)!! لماذا تجلس هنا، هل حدث لأحد مكروه؟!.
وقف (صبري) مترنحًا قليلًا وهو يبتسم في صعوبة وينظر للأرض في خجل
-صباح الخير يا دكتور (ثروت)، كل شيء بخير، ولكني أحتاجك في موضوع محرج قليلًا، لصديق عزيز وليس لي بالطبع.
-خير يا (صبري)؟!.

قالها وهو يفتح باب الصيدلية، كان (صبري) يقف بجواره حينها، فاشمأز الدكتور (ثروت) وتكورت أنفه حتى أنه غطاها بيده وأردف
-هناك رائحة عطنة تنبعث منك يا (صبري)، اعذرني على صراحتي ولكن يجب أن تجد حلًا، إن كان هذا سبب مجيئك فلا تقلق.
كانت الرائحة التي تنبعث من (صبري) تشبه رائحة الموت، فدس صبري أنفه أسفل ذراعه، وتشممه ولكنه لم يشم شيء، فأردف
-إنها ليست رائحتي، ربما فأر ميت أو شيء من هذا القبيل.
-ربما.
دخلا سويًا للصيدلية وأضاء الدكتور (ثروت) أنوارها، فاقترب (صبري) منه وهمس دون أن ينظر له
-لي صديق عزيز، عريس جديد، ولكن....
احمرت أذناه خجلًا دون أن يكمل فضحك الدكتور (ثروت) بصوت عال وقال والاشمئزاز مازال يعلو ملامحه

-لا داع للخجل يا (صبري) يابني، هذه الأمور تحدث، سأعطيك شيئًا قويًا، ستفتخر به الليلة عروسه بالتأكيد.
لمعت عينا (صبري) في سعادة فقال الدكتور (ثروت)
-لولا أنني أعرفك جيدًا يا (صبري) وأعرف أخلاقك لقلت أن هذا الطلب لك أنت.
-لا.. لا.. ليس لي بالطبع.. لصديقي، كما قلت لك، إنه لصديقي.
-أعرف أعرف.
قالها وهو يناوله الدواء، ثم تابع
-إذا أردت شيئا آخر أخبرني، شيء كمزيل لرائحة العرق مثلا.
أخرج (صبري) ثمن الدواء وأعطاه للدكتور وهو يتشمم نفسه مرة ثانية متعجبًا من كلام الدكتور (ثروت).
خرج مسرعًا من عنده، مكث في السيارة عدة دقائق يقرأ التعليمات المدونة على الدواء، بل على الأحرى كان يحفظها.
اتجه للمخزن مسرعًا غير مبال بأي شيء، ثم حاول فتح باب المخزن.

لم ينفتح، حاول مرة ثانية، وكأنه موصد من الداخل بإحكام، ركله عدة مرات حتى انفتح، كان المكان مظلم على غير العادة، وفي ركن الغرفة كانت جثة جميلة تقبع وشعرها منثورًا على وجهها إلا أن عينيها كانت ظاهرتان جاحظتان، وضوء الغرفة يخفت ويضيء بطريقة مخيفة، مما جعل قلبه ينخلع، فإنه يعلم جيدًا أنه ترك (جميلة) داخل الثلاجة.

ظل واقفًا مكانه يحاول أن يجمع شتات أمره، ربما تركها خارج الثلاجة ولم يتذكر، ولكنه من المستحيل أن يكون قد أجلسها بهذه الطريقة في البقعة المظلمة من المخزن.

حاول تخطي كل هذه الاحتمالات المخيفة، رغبته فيها جعلته يزيح كل هذه الأفكار.

حملها وألقاها بقوة على المرتبة وهجم عليها كالذئب الذي يهجم على فريسته، ولكن للمرة الثانية لم يستطع الإتيان بها.

لم يسلم جسدها منه، أفرغ طاقته بضربها، ألقى جام غضبه عليها، حاول مرة ثانية، ثالثة، عاشرة، ولكن الفشل كان حصاده، كان يريد أن يقتحم مدينتها ويحلق في ساحتها، ولكن فشله جعله يثور غضبًا،

فمكث اليوم كله بجوارها، يضربها ويركلها في بعض الأحيان ويلومها ويعاتبها في أحيان أخرى على ما حدث له، ويحاول يفكر في حلول أخرى.
عاد لمنزله، كان الليل قد أقبل، مكث طوال النهار مع (جميلة)، طرق باب بيته مرات قليلة، ففتحت له أمه الباب وعندما رأته صرخت بصوت عال وسألته
-(صبري)!!! هل أنت بخير؟!!.
استغرب (صبري) من صراخها وسؤالها هذا فقال
-أنا بخير يامَّا، لماذا صرختِ؟!.
-انظر لوجهك يابني، إنه شاحب كالموتى.
دخل مسرعًا لغرفته ونظر للمرآة ولكنه لم يلحظ أي شيء غريب في ملامحه، لقد جنت أمه، إنها تخرف، أو ربما بسبب قلة النوم هكذا اعتقد.
ألقى بجسده على السرير، ونام كأنما لم ينم من قبل.

حلم بـ(جميلة) تقف أمامه في الغرفة، عارية وجسدها البض يشع نورًا من بين ثناياه، وتشير له بإصبعها في دلال وتقول -تعالى يا (صبري)، كلي لك.

ركض إليها وكلما اقترب وجد أن ملامحها تتغير، كانت تشبه كل النساء اللاتي استحل أجسادهنّ، ثم تحولت إلى أفعى ضخمة، فتحت فمها عن آخره لتبتلع (صبري).
انتفض ذعرًا واستيقظ من كابوسه، حاول فتح عينه، كان الظلام شديد حوله، ظلمة كظلمة القبر، جسده متيبس، يشعر بالاختناق، حاول الصراخ فلم يستطع. يسمع صوت التلفاز خارج غرفته، فحاول الصراخ مرة ثانية.
-أمَّـــاااااا. ولكن لم يخرج صوته.
جسده بارد كقطعة ثلج، لا يعرف ماذا يحدث له، ولكنه كان يقاوم، تفككت قيود الظلام التي كانت تلتف حوله كالأفعى، فشعر بأن كل شيء صار طبيعي إلى حد ما، وضع قدمه على الأرض ولكنه لم يستطع الوقوف، كان يمشي ويتعثر ويستند على الأثاث والجدران.
-ربما هذه آثار جانبية للحبة الزرقاء الملعونة، فلم أقرأ إلا كيفية استخدامها ولم أكترث للأعراض الجانبية على الإطلاق.
كان يرددها عقله كلما تعثر.

خرج من غرفته ولكن أمه لم تكن بالبيت، دخل إلى الحمام ولطم وجهه بحفنة من الماء، نظر لنفسه لدقائق في المرآة ثم أردف كأنه يتحدث مع عدو أمامه

-لا تحاول منعي يا ضعيف الشخصية، سأدخل بـ(جميلة) الليلة، سأثبت لها رجولتي وقوتي، أما أنت فابق هنا بجوار أمك، لن يمنعني أحد من (جميلة) الليلة.. ستكون لي الليلة، وأنت ستنتهي، ستنتهي إلى الأبد.

قالها صارخًا وهو يضرب بقبضته زجاج المرآة لينكسر مما جعل يده تقطر دمًا.

-اللعنة، اللعنة.. قالها وهو يحاول منع الدم من النزول.

اتجه ناحية صيدلية الدكتور (ثروت)، كانت خطواته أكثر ثبوتًا عن ذي قبل ولكنه مازال يتعثر قليلًا، كان سكان البلدة ينظرون له في تعجب، والبعض كان يفر من جواره.

وصل للصيدلية ودخلها وهو يتسند وعندما رآه دكتور (ثروت) فزع ورجع إلى الخلف خطوتين، كان القيح يملأ وجهه، وكأنه يتآكل.

-صـ.. صـددد.. صديقي.. يـ يـ يريد شششـ شيء أققـوى. ردد هذه الكلمات (صبري) في صعوبة
-هل أنت بخير يا (صبري)؟! هل نظرت لوجهك في المرآة قبل نزولك؟!.
نظر (صبري) لنفسه في المرآة المقابلة له ولكنه لم يلحظ أي شيء غير مألوف، فكرر طلبه على مسمع الدكتور (ثروت).
-(صبري)، ربما عليك زيارة طبيب، فالرائحة العطنة التي تنتشر في جسدك وتعفن وجهك ربما تكون غرغرينا أو شيء من هذا القبيل.
ولكن كأن الدكتور (ثروت) كان يحدث نفسه فأردف (صبري)
-أريد الدواء.
كمم الدكتور (ثروت) فمه بكمامة طبية وارتدى قفاز طبي وناوله الدواء في تردد، فأعطاه (صبري) المال بيده الملوثة بالدماء فسأله الدكتور (ثروت) وهو ينظر ليده
-أتريدني أن أضمد جرحك هذا؟!.
ولكن (صبري) لم يرد عليه، فقط أخذ الدواء ورحل، فخرج دكتور (ثروت) ناظرًا إليه وهو يتعثر في كل

خطوة يخطوها، بعدها بقليل جاء (جمعة) إلى الصيدلية ومعه وصفة علاجية قد كتبها الطبيب لأبيه.
-السلام عليكم يا دكتور (ثروت)، أريد هذا العلاج. قالها وهو يناوله الورقة التي بها الوصفة العلاجية.

«كيف حالك يا (جمعة) يابني؟!»
هز جمعة رأسه وهو يقول -بخير. ولكنها لم تكن مقنعة فالحزن على وجهه كان يصرخ متوجعًا من فراق (جميلة).
أحضر الدكتور الأدوية الموصوفة وسأل (جمعة)
-هل مازال أبوك فاقدًا للنطق؟! ألم يتحسن؟.
-لم يتحسن حتى الآن، ففراق (جميلة) صدمنا جميعًا، خاصة أبي، كانت روحه متعلقة بروحها، والآن فارقتنا. قالها ولم يستطع منع نفسه من البكاء.
-اصبر يابني واحتسب. قالها وهو يربت على كتف (جمعة).
مسح (جمعة) دموعه سريعًا ثم سأله

-كم الحساب يا دكتور؟!.
-173.5.
ناوله (جمعة) المال وقبل أن يخرج سأله الدكتور قائلًا
-هل رأيت (صبري) مؤخرًا؟.
هز (جمعه) رأسه نافيًا وقال
-لا، فمنذ رحيل (جميلة) ولم أره على الإطلاق، فأنا أعرف أن الصدمة كانت كبيرة عليه أيضًا، كان سيتزوجها لولا أنها.. ماتت.
خرج (جمعة) مسرعًا بعد أن ردد هذه الكلمات فلم يكن يريد أن يرى الدكتور (ثروت) دموعه مرة أخرى، أما الدكتور ثروت فظل واقفًا يفكر، كانت الحالة التي بها (صبري) لا تمت بصلة بالصدمة على الإطلاق، كان غريبًا مريبًا، مخيفًا، ولكن ليس مصدومًا أو حزينًا.

******

-جميلاااااااااااه، آاااااااه يا جميلة آاااااااااااااه.
قالها صبري صارخًا.

-النار يا جميلة تجتاح صدري، قلبي يتقلب على الجمر.
كان قد ابتاع ملابس نوم نسائية مثيرة، قام بإلباسها هذه الملابس الحمراء النارية، فربما تساعده مع الحبوب التي ابتلعها منذ قليل، ولكن دون جدوى.
بعد محاولات عدة فاشلة أخرى كالتي سبقتها جلس يبكي بجوارها
-هل أنتِ غاضبة مني يا (جميلة)؟ ألهذا تمنعينني؟! ربما علمت بوجود النسوة هنا قبلك فأصابتكِ الغيرة، ولكن.. ولكن يا حبيبتي، كلهنَّ كنت أتخيلكِ فيهنّ، لا تجعلي نار الغيرة تحرقني وتمنعني منكِ، فأنا أحبك يا (جميلة)، أحبك وأريدك.
احتضنها وظل يبكي بجوارها حتى غلبه النعاس، استيقظ في منتصف الليل ثم عاد لبيته وأكمل نومه.

في الصباح الباكر شعر بحركة غريبة في الخارج، وأصوات تجمعات على غير العادة، ارتدى ملابسه وخرج ومازالت خطواته غير طبيعية قدماه يصيبها التيبس مما يجعله يتعثر.

سمع من هنا وهناك أن كلاب القرية اكتشفت مقبرة جماعية لجثث مسروقة لبعض النسوة بعد أن نهش الكلاب أجسادهنّ.
كلما مر بتجمع لم يكن كلامهم إلا عن هذا الحدث الشنيع، وعن المجنون الذي فعلها، وكيف سيعذبونه حتى يتمنى أنه لم يولد قط.
-تصدق يا حج (رضا) أن المجرم الذي سرق الجثث قد عرّاهنّ تمامًا، المباحث تقول أن الجثث تم اغتصابهنّ.
-استغفر الله العظيم، يوم القيامة قامت يا (بدوي)، هل سكن الشيطان قريتنا؟! مالذي حدث لهذه القرية الهادئة الساكنة؟!.
كان (صبري) يتوارى خلف الأشجار والجدران ليتأكد أنهم لم يتعرفوا على المجرم المزعوم حتى الآن، ولكن ضربات قلبه كادت تفضحه، فكان الخوف ينتزع قلبه من أعماقه.

-(صبري)!!. انتفض عندما سمع من يناديه من خلفه فالتفت قائلًا
-(جمعة)؟!!.
فزع (جمعة) عندما رأى صديقه قد تآكل لحمه وملامحه بالكاد ظاهرة، فتساءل في قلق
-هل.. هل أنت بخير يا (صبري)؟!.
لم يفهم (صبري) لماذا يصر كل من حوله أنه ليس بخير، ولم يفهم لماذا يفرون من أمامه كلما رأوه، كأنما رأوا الموت، فأجاب قائلًا
-أجل بخير، وأنت كيف حالك يا صديقي؟!. قالها وهو مادًّا يده ليصافحه فتراجع (جمعة) وكرر على مسامعه نفس السؤال
-هل أنت متأكد أنك بخير؟!.
لم يلحظ (صبري) أن يده أصبحت هيكلًا عظميًا مكسوًا ببعض الجلد المتآكل، فكل التغيرات التي كانت تحدث له كان يراها الجميع إلا هو.
-أجل أنا بخير ولكني مريض. قالها ليسكت تساؤلات (جمعة)

حاول (جمعة) أن يحافظ على المسافة التي بينهما فربما المرض الذي أصيب به (صبري) خطير فيتجنب التقاط العدوى.
ثم قال (جمعة) وهو ينظر باتجاه المقابر
-هل سمعت ما يحدث بالبلدة؟ هناك لص سرق جثث بعض النسوة، وربما اغتصبهنّ، لقد انتهك حرمة القبور، شيء مثير للاشمئزاز، لا نعرف من حتى الآن.
-هذا مريع فعلا. قالها (صبري) والتوتر احتل كلماته، ولو كانت ملامحه غير متآكلة لفضحته دون شك
ثم تابع (جمعة) قائلًا
-يقول دكتور (ثروت) أن المجرم مصاب بمرض يسمى النيكرو.. النيكروفول.. أقصد النيكروفيليا*
عشق الجثث، تقيأت بعدما شرح لي معناها، العالم ممتلئ بالمرضى، ولكن خلل نفسي كهذا، أن تعشق الجثث الميتة وتغتصبها، هذا يثير الغثيان.
ثم تابع وهو يتنفس بصعوبة
-ولكننا لم نجد جثة (جميلة) بينهنّ، ولكن هناك بعض المتطوعين قالوا أنهم سيبحثون داخل القبور عن جثتها وباقي جثث نساء البلدة، ربما فتحوا قبر

(جميلة) الآن، لم أستطع أن أقف وأرى المشهد، ففي الحالتين عقلي يرفض أن أكون أمام قبرها الآن.
قالها وقد اعتصر الحزن قلبه، أما قلب (صبري) فكاد أن يتوقف من الخوف، يبحثون عن (جميلة) داخل قبرها، ولن يجدوها بالتأكيد، فهي عنده بالمخزن ترتدي ثيابًا حمراء مثيرة بدلًا من الكفن.

---

*النيكروفيليا: انجذاب جنسي ناحية الجثث وهو فعل شاذ ويوجد حالات عدة مريضة بهذا المرض النفسي تم جمع المعلومات عنها ودوافع هذا السلوك المريض بسبب الحصول على شريك غير قابل للرفض أو المقاومة.

-سس.. سيجدونها، لـ.. لا تقلق.
بينما ردد (صبري) هذه الكلمات، جاءت لـ(جمعة) مكالمة ينتظرها من المتطوعين لحفر مقبرة (جميلة) كان يستمع فقط لهم ولم يردد أي كلمة، أما ملامح وجهه فكانت تقول آلاف الكلمات وقرأها (صبري) جميعها بين عبراته.

أنهى (جمعة) المكالمة وألقى بالهاتف على الأرض بقوة وصرخ قائلًا
-الكاااااااالــب، جثة (جميلة) بين يديه، لقد لمسها بيديه القذرتين بالتأكيد، سأقتله يا (صبري)، سأمزق عنقه بأسناني، سأنتزع قلبه بيدي، هذا الشيطان الذي دخل قريتنا، بالتأكيد شخص غريب عنا، ولكني سأجده ولن يسلم مني.
ابتلع (صبري) لعابه في صعوبة بالغة، يتخيل مشهد موته على يد صديقه، إنه يعرف جيدًا أن صديقه لا يمزح في هذه الأمور، وربما سيفعل أكثر مما قال، سيوزع أعضائه على ذئاب قرى مصر أجمعها.
-اههدأ يا (جمعة)، سسـ سنننـ.. سنبحث عنه جميعًا، وسننتقم لـ(جميلة)، أأأ..أنت تعلم كم كانت جميلة تهمني أنا أيضًا، سننتقم سويًا لما حدث. قالها متلعثمًا.
كانت نيران الغضب تخرج من عين (جمعة)، فقام من مكانه وهو ممسكًا بقبضة يده مستعدًا للكم هذا المجرم بكل قوة، ثم ركض بعيدًا عن (صبري).
تحرك (صبري) ناحية المخزن وكان قد فقد أعصابه تمامًا، أغلق على نفسه من الداخل جيدًا، مكث لدقائق

ممسكًا بالباب من الداخل، يحاول تمالك نفسه، ثم أخرج (جميلة) من الثلاجة، وبدأ يحدثها
-يريدون أن يفرقونا يا (جميلة)، يريدون أن يأخذونكِ مني، ويعيدونك لهذا المكان الموحش المظلم، يجب أن نهرب، سنهرب الليلة في الظلام.

طق طق طق
اتسعت عينا (صبري) ذعرًا، هناك من يطرق على باب مخزنه، لقد كشفوه.
لم يتحرك من مكانه، فقد احتضن (جميلة) بين يديه، وكأنه يحميها من هذا الذي يريد أن ينتزعها منه

-افتح يا (صبري)، أعلم أنك بالداخل. كان صوت الدكتور (ثروت)
ارتجف (صبري)، لا يعلم ما يجب فعله، اقترب من باب المخزن، وألصق أذنه في الباب، سمع الدكتور (ثروت) يتحدث مع (جمعة) من خلال الهاتف المحمول.

-إنه هنا يا (جمعة).. لا لم أرى شيئًا ولم يفتح لي الباب، ولكني واثق أن شكوكي في محلها.

تمنى (صبري) في هذه اللحظة أن تبتلعه الأرض، لقد عرفوا!!

طق طق طق
كان صوت الطرق يعلو، فصاح (صبري) قائلًا
-ابتعدوا.. قلت لكم ابتعدوا.. لن تأخذوها مني، لن....
لم يكمل كلماته شعر بأن جدران المخزن تطبق فوق أنفاسه، سمع صوت تهشيم الباب، وبصيص من النور يدخل ولكن هذا النور لم يستطع أن يتغلب على الظلمة التي كان غارقًا فيها.

تقيأ الدكتور (ثروت) على الفور من الرائحة الكريهة التي كانت تنتشر في أنحاء المخزن، أما (جمعة) والذي حضر على الفور كان يصرخ باسم أخته التي

كانت شبه عارية في أحضان (صبري) والذي كان متشبثًا بها بكل قوته، أو مما تبقى منها.

لم يكن انتزاع جثة (جميلة) من بين يدي (صبري) بالأمر العسير، خارت قواه تماما، فركع على ركبتيه، يتوسل إليهما أن يتركا له (جميلة)، نظرا له وللتغيرات المريبة التي حدثت له، إنه أمامهما يشبه الجثث المتعفنة، إلا أنه يتكلم ويتحرك. فلقد كان جزء من وجهه متحللًا ويتدلى منه الدود، فكأنما مات منذ زمن وخرج من القبر لتوه.

قال له الدكتور (ثروت)
-لقد أثرت شكوكي حولك يا (صبري)، تصرفاتك الغريبة، عدم اكتراثك بموت (جميلة)، ولكني لم أتوقع كل هذا على الإطلاق، فالجميع يشهد لك بالأخلاق الحميدة.
-جمييييييلة اتركوها، إنها لي، ملكي. قالها (صبري) بصوت واهن ضعيف

-بعد ظهور جثث النسوة العارية، والتحقيقات الأولية تؤكد أن هناك من اغتصب هذه الجثث وأن هناك من هو مريض بالنيكروفيليا، ولجوئك إلى الصيدلية بشكل لحوح الأيام الماضية، كل هذا جعل الخيوط في عقلي تترابط بشكل ما، ثم وجدوا في قبر
(جميلة) سبحتك التي لم تكن تفارقك، سبحتك التي خدعتنا بها مرارًا حتى اعتقدنا أنها جزء منك، قابلك (جمعة) ولم يكن يعرف حينها أنه أنت، وحدثني عما دار بينكما عندما قابلني بعد فراقكما، كنت تتوارى تستمع لحديث الناس، فتتبعتك إلى هنا بعدما لمحتك تتجه ناحية أطراف القرية.
-جمييييلاااه. رمى نفسه على المرتبة وهو يردد اسمها مرارا
-سأقتله يا دكتور (ثروت)، سأقتله. قالها (جمعة) وهو يقترب من (صبري) ولكن دكتور (ثروت) أمسك به قائلًا
-أعتقد أنه لم يستطع أن يمس (جميلة) بسوء يا (جمعة) إن كنت تفهم قصدي، ولكن انظر إليه، إنه ميت بالفعل، ملعون، لعنة الموت أمسكت به، جزاءً بما فعله، استحل حرمة الموت، فطارده الموت،

سنتركه هنا وحده يتعفن، هذا هو العذاب الأبدي الذي سينالـه.
خرجا سويًا وأغلقا باب المخزن بإحكام من الخارج، زحف (صبري) خلفهما وطرق الباب ولكن كانت طرقات ضعيفة وهو يردد بصوت باح
-(جميلة)، تعالي يا حبيبتي، سأثبت لكِ أنني رجل قوي، تعالي لا تتركيني الآن.
ولكنه توقف، عادت الظلمة الغريبة مرة أخرى، شعر وكأن حلقه يمتلئ بالتراب، والجدران ضاقت عليه، تسحق صدره وعظامه، تعتصر قلبه، أنفاسه الأخيرة يلفظها الآن، فنطق باسمها للمرة الأخيرة
-جـ..مـ..يـ..لـ..ـة.

-تمت-

(ضجيج)

دن دن دن دن دننن ددنن دن دن دن دننن

تلك الأصوات اللعينة تسرق النوم من بين جفني كلما حاولت إغماض عيني .يبدو أن ذلك القرد الصغير)هاني (الذي يسكن بالأعلى لم ينم حتى الآن وقد قرر أبواه معاقبة سكان العمارة بدلًا منه.

وضعت بعضًا من الوسادات فوق أذني، ولكن كأنما)هاني (كان يتجول على الوسادات نفسها فقرر النوم التخلي عني حينها..

كان الغضب هو جليسي ومؤنسي حتى تهدأ تلك الحرب المقامة بالأعلى ولكنها كانت تزداد، فصعدت غير مبالٍ بتأخر الوقت وطرقت على باب شقتهم حتى كاد أن ينخلع في قبضة يدي.

فتحت الباب السيدة)ناهد (ممسكة بمنديل في يدها في محاولة بائسة منها لوقف المخاط السائل من أنفها

الكبير، وكان هناك صوت معزوفة تخرج من أنف زوجها هو الآخر تدل على أنه نائم في سبات عميق، أما ذلك الطفل الغبي كان مازال يتنقل بين الأثاث حتى أني تمنيت لو سقط أرضًا وتنكسر رقبته.

معزوفة زوجها المقززة يعلو صوتها من بين فتحتي منخاره خارجة من غرفته لتثير أعصابي أكثر، مما جعلني أستشيط غيظا، فصحت فيها غاضبًا ولكنها اعتذرت بكلمات يتخللها السعال، ومع ذلك ظل زوجها نائمًا كالخرتيت بدلًا مني ..اللعنة عليهم جميعًا.

قررت الإنتقال لسكن آخر، لمكان هادئ لا وجود لتلك الأقدام الصغيرة التي أوقن أنها تخفي أفاعي تحت جلودها .هذا المكان اخترته بعناية هذه المرة .امرأة عجوز تتكئ على عصا بالية تكاد تسمع لها حسًا، هكذا أكد لي المؤجر، فدفعت له شهرين مقدمًا، فتركني وهو يعد المال بأنامله المبتلة بالعرق، وعلى شفتيه ابتسامة رضا.

أغلقت الباب خلفه، وأنا أمشي بين الأثاث الذي غلفته الأتربة تجاه غرفة النوم، لم أبالِ بكم القاذورات التي كانت يخفيها شرشف السرير، ولا الحشرات التي كانت تتقاذف حولي في سعادة غريبة، فلقد كانت عيناي جائعة للنعاس، والإرهاق قد فتك بأعضائي. هويت على السرير ككيس عظم وقبل أن أدرك غرقت في نوم عميق.

ن دندن دند دن دندن دننن دن

لا أعتقد أن تلك العجوز الشمطاء قررت فجأة التخلي عن عكازها والقفز والجري إيابًا وذهابًا.

دند دندن دن دن دن

أمسكت بعصا المكنسة وأخذت أضرب سقف الشقة بقوة مرارًا وتكرارًا حتى كاد أن يسقط على رأسي محاولًا أن أخبرهم أن هناك ساكن بالأسفل يريد أن يذيق للنوم طعمًا، ولكن ما نابني إلا وجع في يدي.

فصعدت لشقتها، فتحت لي سيدة في العقد الرابع من عمرها تشبه تلك العجوز فعلى ما يبدو أن هذه ابنتها، ابتسمت لها محاولًا أن أبدو لطيفًا، ولكن نظرات الغضب جعلت تلك الابتسامة صفراء كالماء العكر، ولمحت طفلين على ما يبدو أنهم أولادها، ولدًا وبنتًا، طفلين لزجين يشبهان مخاط السيدة)ناهد(، فأشرت لهما وهما يلعبان بأن يتوقفا لكي أستطيع النوم.

فضحكت في استظراف وقالت وهي تشير إليهما »لم أعد أستطيع السيطرة عليهما، إذا أردت إسكاتهما فتفضل« كلماتها أشعلت فتيل الغضب داخلي حتى صرت كومة من النيران.

نزلت إلى شقتي عازمًا الإنتقال مرة أخرى .حقيقة أنا أبحث حرفيًا عن الراحة، ولكن لا وجود للراحة مع وجود تلك الشياطين الصغيرة المسماة بالأطفال.

هذه المرة لا يوجد ساكن فوق رأسي، فلقد اخترت الدور الأخير.

دن ددن ددن دننن ددن ددنن ددن دن

اللعنة!

صحيح أن الوقت مازال مبكرًا، و الساعة تشير إلى التاسعة فقط، ولكني لم أنم منذ وقت طويل وهذا يستفزني .ظللت ألكم كفي بقبضتي في ضيق وأنا أحدق في السقف متمنيًا لو نبتت الأشواك فوق الأرض لتقطع أرجلهم قبل أن يطؤوها فوق رأسي.

دن ددن ددن ددننن دن دن

هذا الصوت، صوت تلك الأقدام الصغيرة الذي يثير غضبي.

صعدت كعادتي؛ كان السطح مغلق بباب خشبي فطرقته بقوة بكلتا يدي، ففتحت لي طفلة في عامها الثاني عشر تقريبًا .ألقيت نظرة للداخل فقد حولوا سطوح هذا المنزل لمدينة ألعاب مصغرة للأطفال. بعض العربات الصغيرة هنا وأرجوحة هناك يعتليها تلك المخلوقات السمجة وبعض الأشياء الملونة التي

لا أعرف كنهها هنا وهناك .ألوان وأشياء صممت لتبهج تلك الكائنات ولتعذبني أنا..

كانت الفتاة تنظر لي عاقدة يديها على صدرها لتمثل دور القائدة في هذا المكان .طلبت منها الكف عن اللعب ولكنها رفضت بحجة أن الإجازة الصيفية قد بدأت وحان الوقت للهو واللعب .اللهو واللعب فوق رأسي المسكين طوال تلك الإجازة!

عشت طوال حياتي أتنقل من مكان للآخر فلا تستعجبوا أنني سأنتقل مرة أخرى، ولكن بعد أن فاض بي الكيل فقد قررت أن أنعزل عن عالمهم المزعج هذا.

حملت خيمتي على ظهري وذهبت لمكان بعيد .السماء بزرقتها من فوقي يطرزها قطع السحاب الأبيض وأسفل مني حبيبات الرمل الناعمة التي اتخذتها كسرير دافئ .لا صوت إلا صوت أمواج البحر الهادئة، ورائحة اليود تداعب أنفي في دلال.

هنا معبد الراحة الأبدي، سأتقدس بالماء المباركة وسأصلي رقصا بأقدامي على رمالها الذهبية .تخيلت أن رؤوس الأطفال الصغيرة قد نبتت بين أقدامي فحركت قدمي بعنف وأنا أنشد ترانيم الصلاة، هذه صلاتي قد اخترعتها لنفسي، فلقد نصبت نفسي ملكًا مقدسًا لهذه الأرض المباركة، أرض لم يدنسها قدم طفل لعين.

توسدت الرمال ثم نظرت لأعلى وأنا أتمتم في سعادة وتركت شعاع الشمس يغمض عيني بأنامله الذهبية ويلقي بتعاويذ النعاس داخلهما.

دندن دددن دددن دننذن دددن

دندن دددن ددنندن دنددن

!ما هذا؟ هل هذا كابوس؟

دنددن دندنددن دندن

اللعنة !كيف هذا؟ !من أين تأتي تلك الأصوات؟ فلا مكان فوقي يسمح بأن يجري فيه طفل واحد إلا إذا

قررت الطيور أن تتخلى عن أجنحتها وتستبدلهما بأقدام صغيرة.

دنددن دننندن ددددن دندن

وضعت يدي على أذني محاولًا أن أمنع تلك الأصوات ولكن..

دنددن دندن دندن ددددندن

كان الصوت داخل عقلي مستمرًا بدون انقطاع

دنددن دنددن ددددندن

أمسكت بحجر كان بجانبي وطرقت رأسي به عدة طرقات جعلت الدماء تنسال كدموع حمراء على وجهي، ولكن الصوت لم يتوقف وكان يتزايد.

ددندن ددندن ددددندن دندن

فركت عيني بعنف حتى كدت أن أقتلع مقلتي فربما أستيقظ إذا كان كابوسًا، ولكن شدة الألم أكدت لي أنه ليس بكابوس.

فجأة توقف الصوت، توقف الصوت مع خروجهم من داخل رأسي..

أراهم يصطفون أمامي، البعض منهم أتذكره عن ظهر قلب، فهذا)هاني (القرد الذي كان يسكن فوقي بعد أن قطعت رجليه وخنقته حتى الموت، وهذه)ناهد (أمه الحمقاء زرقاء اللون بعد أن خنقتها هي الأخرى حتى أنها لم تتخلى عن المخاط الذي يسيل من أنفها الكبير،)أما هذا الضخم والد (هاني،

فكما تلاحظون أنني قد قطعت أنفه بعد أن ذبحته حتى يكف عن عزف سيمفونيته البشعة أثناء نومه.

وهذه العجوز الشمطاء وابنتها وحفيديها بعد أن طعنتهم جميعًا وكما تلاحظون فالأطفال بدون أرجل أيضًا .ولماذا يحتاجون لأرجلهم هذه؟ !فهي مصدر الإزعاج على كل حال.

أما العاقدة يديها على صدرها فهي الفتاة المتعجرفة وحولها بعض الأطفال الذين كانوا معها حينها، بعض

الرصاصات من مسدسي الكاتم للصوت قضوا عليهم جميعًا.

هذه السيدة البدينة أتذكرها جيدا فقد كانت حاملًا بشهرها السابع تقريبًا ولديها 4 أولاد وهذا يعني أنها كانت ستزيد المعاناة والبؤس لهذا العالم، فبقرت بطنها المنتفخ وقضيت على أولادها بالطبع بعد أن قطعت أرجلهم جميعًا.

أما هؤلاء فلا أتذكرهم فقد كنت أقتل كل من كان يزعجني منذ ...حتى أنني لا أتذكر منذ متى، فأنا رجل يحب الهدوء وأعتقد أن العالم مدين لي لأنني أحاول جاهدًا الحفاظ على سكونه.

اصطفوا جميعهم حولي، عددهم ما يقرب الثلاثمائة شخص ربما يزيدون، نظروا تجاهي في غضب، ثم انقضوا على رأسي، واحدًا تلو الآخر كان يقتحم رأسي وكنت أتألم كمن ألقي عليَّ بحجارة من الجحيم.

،أسمعهم يتحدثون داخل عقلي بصوت مرتفع
أسمعهم يصرخون في غضب، حتى أنني أسمع صوت
..سعال السيدة)ناهد (ذو الأنف الكبير

ثم سمعت صوتًا مألوفًا ولكن هذه المرة كان قوي
ومؤلم وكأنهم قد استبدلوا أرجلهم الصغيرة بمطارق
من الحديد فتمنيت حينها أن تتفتت رأسي لثلاثمائة
.قطعة ولا أعيش هذا العذاب الأبدي

.دنن ددنن دننن دددننن دننن

تمت

ليــغريـغورL’Egrégore

(مقتبس عن قصة حقيقية)

1- ميثاق الدم

وقفتُ عند النافذة النصف مفتوحة، المطر ينهمر بلطف، والهواء معبأ برائحة المطر ورائحة الحزن والذكريات الجافة المنسيَّة كوردة مُهمَلة بين صفحات الذكريات. قطة تحمي صغيرها من المطر تحت ظل شجرة. انعكاس وجهي على النافذة لاح أمامي، اقتطفت سنين العمر جمال ملامحي، وداس الحزن على وجهي فتجعد، وعيناي صارتا ذابلتان تعكس روحي المحطمة، اقتربت (نوال) منّي ووضعت يدها على كتفي فجفلتُ وسألتني

«(عائشة)، هل أنتِ بخير؟ لقد شردتِ»

أدرت وجهي ونطقتُ بكلمات كنت أسجنها داخل صدري فذبحتني وقلت

«(يعقوب) سيتزوج بعد شهر» ثم أجهشتُ في نوبة من البكاء، تمخطتُ في منديل أحمله وقلت مضيفة بصوت حزين

«قال لي أنني لم يعد لي نفع يا (نوال)»
أمسكت (نوال) بيدي لتواسيني وسألتني
«هل أخبركِ بمن سيتزوج؟!»
«وهل هذا يهم؟! سيتزوج في الأخير ولا يهمني من التي سيتزوجها»
ضمتني برفق، ثم قالت وهي تنظر لعيني بثبات
«اسمعيني يا (عائشة)، أنتِ جربتِ الأطباء طوال العشر سنوات الماضية، وجميعهم أخبروكِ أنه ليس هناك مشكلة سواء منكِ أو منه، ولم تحملي حتى الآن، ولكن هل جربت السحر؟»
«سحر؟!» تساءلتُ في استغراب
«نعم، السحر، مشكلتك حلها السحر بعد أن فشل الأطباء في حلها»
صمَتُّ وقد كفَّت عيني عن بكائها وشردت أفكر في اقتراح (نوال)، ثم أغمضت عيني للحظات ورأيت نفسي أحمل طفل، أشتم رائحته المميزة البريئة التي لم تلوثها روائح الكبار الخبيثة بعد، وأشعر بملمسه الحريري، وابتسامته التي يذوب لأجلها جبال الثلج.
افترشت مقلتي بدمع لم ينساب، فحنيني لمثل هذا الشعور قد أدمى فؤادي، وقد جربت حظي بالطب

سابقًا ولم يجدِ نفعًا، فلِمَ لا أجرب حظي هذه المرة بالسحر كما اقترحت عليّ (نوال)؟! خاصة أننا بالمغرب والحصول على ساحر ما ليس بأمر صعب.
حدقتُ إليها بعينين آملتين وسألتها
«هل تعرفين ساحر موثوق به؟»
اقتربت (نوال) مني وهمست، لديها بحَّة في صوتها أضفتْ بعض الغموض على كلماتها
«(أورهايون ليراز)»
جحظت عيناي واتسعت عن آخرها، وصرختُ قائلة
«هل جننتِ؟! تريدينني أن أذهب لساحر يهودي؟! ما بكِ يا (نوال)؟!»
«ستنالين مرادك، لا يهم دينه فإنهم جميعهم سحرة على كل حال، ولكنك ستنجبين طفلًا بعدها يا (عائشة)، أنتِ تعلمين شهرة هذا الساحر، إذا أراد أن يصهر الحديد بين يديه الباردتين كلوح الثلج سيستجيب له الحديد، فكري مليًا في الأمر»
اهتزت شفتاي بابتسامة شقت طريقها بصعوبة عبر جلد وجهي، ورفرف قلبي، ولكني قررت ألَّا أحلِّق عاليًا حتى لا أسقط فتنكسر أحلامي وتتحطم كالسابق.

ظللتُ شاردة أحلم بأشياء كنت حرمتها على نفسي حتى في خيالي، حتى برد كوب الشاي الذي قدمته لي (نوال)، ثم ودعتها ورحلت.

خرجتُ من عندها وأنا في حيرة من أمري وكلامها يتردد صداه داخل عقلي مرارًا، وقلبي المشتاق لذلك الولد كان يدق باب المنطق داخل عقلي كالمطرقة الحديدية ويهدمه، فسرعان ما اقتنعت برأيها.
هناك شمس ظهرت بين الغيوم، داعبتْ بأناملها وجهي فجففت دموع اليأس من بين ثناياه، وانتشرت أشعتها في الشوارع المسحورة بالصمت، وتراقصت مع الوريقات الخضراء على جانبي الطريق، هذه اللوحة الكونية لم أرها من قبل، لم أتذوق جمالها إلا الآن، كنت أراها باهتة أما الآن فهي تتزاحم بالألوان، إنها شمس الأمل.
تنهدت بصوت مسموع وهتفت ناظرة للسماء «يااااارب» نظر لي شابان مرّا بجانبي باستغراب، رأيتهما يتغامزان كأنني مجنونة، فسارعت خطواتي حتى وصلت للبيت.

بيت قديم ذو طابقين يقع في زقاق المدينة، هززت رأسي أحيي جارتي التي كانت تجلس بجوار البيت وتسقي الزرع.

صعدت للطابق الثاني وفتحت الباب، ظللت اليوم بطوله أغمض عيني وأسافر بتفكيري للمستقبل، وقفتُ في المطبخ، واعددت بعض الكسكس دون تركيز، لقد زرعت (نوال) بذرة الأمل داخلي، سأحمل، وسأنجب، وسيكون بسمتي وسط هذا الحزن الذي ألقى غيومه على حياتي فأصبحت مظلمة كئيبة، سيكون نور روحي بعد أن أطفأها زوجي (يعقوب) بقسوته.
عشتُ هذا الحلم حتى أنني صدقته، كنت في بعض الأوقات أضع يدي على بطني وأتخيل كيف سيكون حضوره، فأشعر بركلة خفيفة صنعها نسيج خيالي فيدق قلبي أكثر وتزداد رغبتي لرؤية هذا الساحر أكثر وأكثر.

وفي الليل حاولت التقرب لـ(يعقوب) ولكنه أدار لي ظهره دون أن يتفوه كعادته، كان يعاملني كخرقة بالية سهل التخلص مني في أي وقت، وكأن عدم إنجابي هو مرض معدي ويخاف أن يصيبه إذا لامسني، مما زاد الوجع داخل قلبي.

فخرجتُ من الغرفة وصفعتُ بابها بقوة وجلستُ على الأريكة وأنا أبكي، كان أول من آذاني عندما تأخرتُ في الحمل، ضرب مبرح ناله جسدي بالكامل مع كل عادة شهرية تأتيني فهي دليل على عدم الحمل، حتى أنه توعدني بالعذاب إذا حملتُ بالأنثى، يريد الولد، فقط الولد.

«هذا حقه» كلمات رددها المحيطين بي، وكأن زر الإنجاب بداخلي وبضغطة مني أحمل وضغطة أخرى أحدد نوع الجنين، فطلباتهم يجب أن تنفذ!

غرقت في دموعي وذكرياتي التي راحت تلاحقني، ولكن هناك طوق نجاة، الزر كما يقولون الذي إذا ضغطته أنجبت وحددت نوع جنيني، ولكن الزر ليس عندي، عند الحاخام (أورهايون) فقررت أن أهاتف صديقتي (نوال)

«(نوال) أريد عنوان الحاخام (أورهايون)» قلتها دون سلام حتى
تثاءبت (نوال) وردت بصوت ناعس
«النهار له عينين يا (عائشة)، كنتُ نائمة»
«ولكني سأذهب في الصباح الباكر، لذلك أريده الآن»
«هل ستذهبين وحدك؟! هل أخبرتِ (يعقوب)؟!»
تنهدتُ بصوت مسموع ثم أردفتُ
«لن أخبره، أعطيني العنوان ثم عودي لنومك يا (نوال)»
سكتت (نوال) قليلًا ثم أخبرتني بالعنوان
«إنه بالدار البيضاء شارع المسيرة الخضراء بالمعاريف، اسألي عنه هناك فالمنطقة بأكملها تعرف أين مكان عمله، واكتبي رقم هاتفه واتصلي به لحجز موعد أولًا»
«حسنًا سأفعل، عودي لنومك الآن»
«(عائشة)، انتظري لبعد الغد، سآتي معك، نحن في مراكش والمسافة بعيدة بينها وبين الدار البيضاء، لا تذهبي بمفردك إليه»
«لا تتعبي حالك يا (نوال)، الموضوع خاص بي

وأريد الذهاب بمفردي على كل حال»
سكتت (نوال) قليلًا ثم قالت
«كما تشائين يا حبيبتي، تصبحين على خير»
أنهيت المكالمة وأنا أمسك بالورقة التي دونت فيها عنوان الساحر (أورهايون ليراز)، شعرتُ بأن هذا عنوان للأمل الذي ربما سيدب الحياة في رحمي من خلاله، وسأستعيد حياتي الزوجية مع (يعقوب)، يوما ما كانت تربطنا قصة حب متوهجة، يوما ما، ولكن انطفأت شعلتها فأصبحنا كالرماد.
ابتسمتُ وأنا أعد الساعات لكي تشرق الشمس وأذهب إليه، حجزت موعد معه في التاسعة صباحًا، لم أنم طوال الليل، وإذا غفلت حلمت به، بطفلي.
شاب رأس الليل وحلَّ الصباح، فانتظرت حتى خرج (يعقوب) متجهًا لعمله، ونزلت مسرعة لكي أذهب لـ(أورهايون).

ذهبت لمحطة القطار وانتظرت القطار الذي سيأخذني لعنده، كنت أهز قدمي بعنف من التوتر، كل شيء يمر أمامي، إلا الوقت، كان متشبثًا بدقائقه يأبى أن يتزحزح. وأخيرًا جاء القطار، زعق بمكابحه وتوقف

أمامي، دخلت مترددة وجلست بجانب النافذة، تدفق الناس داخله وجلسوا في مقاعدهم، وبدأ يتحرك القطار ويهتز، ويخفق قلبي متزامنًا مع خفقان عجلاته.
أسندت رأسي على النافذة وانصبت أشعة الشمس عليه وغمرتني بدفئها، وبدأت البيوت والحدائق تجري أمامي، كل شيء يمر سريعًا أمام عيني تمامًا مثل سنين عمري، فأنا مازالت في منتصف العمر، كنت جميلة يومًا ما، ولكن الهموم دعست على وجهي بأقدامها المتسخة فقبحته، ثم ضاعفت سنين عمري وكأن عمري صار مائة عام، أشعر بأن قطار حياتي قد اقترب من محطته الأخيرة.

وبعد سويعات قليلة من التفكير بين الماضي الجميل والحاضر الكئيب والمستقبل المريب وصلتُ إلى محطتي بالدار البيضاء. خرجتُ من القطار مرتبكة، ثم أخذتُ سيارة أجرة وطلبت منه أن يتجه للمعاريف شارع المسيرة الخضراء.
ضبط عداده وانطلق السائق وسط المساحات

الخضراء فسألته في تردد
«هل تعلم أين يقطن (أورهايون ليراز)؟!»
نظر لي عبر المرآة وسألني في ريب
«الفقها اليهودي؟!»
«نعم»
سكت قليلًا وعيناه التقت بعيناي كمن يريد أن يحذرني ولكنه قرأ اليأس وانقطاع الأمل فيهما فأجابني
«قرب الهلال الأحمر، سأوصلك إليه»
ارتسمت ابتسامة على شفتي ثم شكرته.
انطلق بسيارته حتى وصل للمكان المنشود، فأشار لبناية مزركشة بالأبيض والأزرق المميز، قد وقف أمامها وقال
«يمكنك النزول هنا، ادخلي البناية بالدور الأول ستجدين لافتة تحمل اسمه»
نزلت من السيارة وأنا أنظر للبناية ثم أعطيت للسائق المال ويداي ترتجفان فقال لي
«مدام، يمكنني انتظارك هنا إذا أردتِ»
«شكرًا لك، سيسرني ذلك، ولكن إذا تأخرت يمكنك الذهاب»

«سأنتظرك مدام، وخذي حذرك»
كان صادقًا في تحذيره لي مما جعل التوتر يزحف داخل أعماقي كثعبان ويلقي سمومه، ولكن اشتياقي لرؤية طفل مني كان بمثابة الترياق لهذه السموم، فتركته ودخلت البناية ووقفت عند باب الشقة، هناك لافتة على يمين الباب مكتوب عليها (الحاكم الحاخام أورهايون ليراز).
أخذت نفسًا عميقًا وزفرته بقوة في محاولة لتهدئة نفسي، ثم طرقت الباب بيدي المرتعشة.
سمعت صوت خطوات بطيئة في الداخل قادمة إلي، وانفتح الباب قليلا ليكشف عن رجل قصير إلى حد ما، مثني الظهر وقد تجاوز عمره السبعون عامًا، كان ينظر لي بنظرات متشككة فقال بصوته الأجش «من أنتِ؟»
«أ .. أنا (عائشة)، اتصلت ليلًا لأخذ موعد وسمحتم لي بالمجيء» قلتها متلعثمة
انفتح الباب عن آخره ليسمح لي بالدخول دون أن ينبس ببنت شفة، فمشيت خلفه بخطوات مترددة، بداخلي خليط من المشاعر المتناقضة، تارة أريد

التراجع والعودة إلى بيتي وتارة أريد أن أكمل هذا الطريق الذي بدأته.
وصلنا لباب تنبعث من فتحاته رائحة بخور مميزة، فأشار لي الرجل بأن أنتظر هنا ودخل وحده، وبعد ثوان فتح لي الباب وأشار لي بالدخول دون أن يتكلم، صمته مريب جعلني أزداد توترًا فابتلعت لعابي في صعوبة ودخلت غرفة (أورهايون).

طفتُ ببصري في زوايا الغرفة، كانت تحوي أرقامًا وحروفًا هنا وهناك على جدرانها، فـ(أورهايون) يستخدم الكابالا في سحره الأسود والتي تشتهر بتقديسها للأعداد.
وهناك في جانب الغرفة رسمة كبيرة تملأ الجدار عبارة عن شجرة ضخمة أصلها في الأعلى للسماء وفروعها للأسفل أي الأرض، أي أن الشجرة مرسومة بالمقلوب، إنها شجرة الحياة كما يزعمون*.

أما (أورهايون) فكان أبيض البشرة، حليق الذقن، له

شفتان رفيعتان ونظرات ثاقبة تشعرك بأنه يجردك من روحك إذا أراد.
كان جالسًا في وسط الغرفة، ناظرًا لي بعينيه الواسعتين وقد شبك أصابع يديه ببعضهما ومسندها على المكتب أمامه. كنتُ أشعر أنه يرى الخراب الذي خلفته سنين عمري داخل روحي.

---

*شجرة الحياة :وهي مقدسة عندهم في طقوس الكابالا أصلها في السماء وفروعها في الأرض فتبدأ بالذات الإلهية وتنتهي بالعالم الدنيوي في الأرض وتتكون من عشر طبقات تسافر فيها الروح عبر جسد الإله الذي يجسد تلك الشجرة حسب معتقداتهم

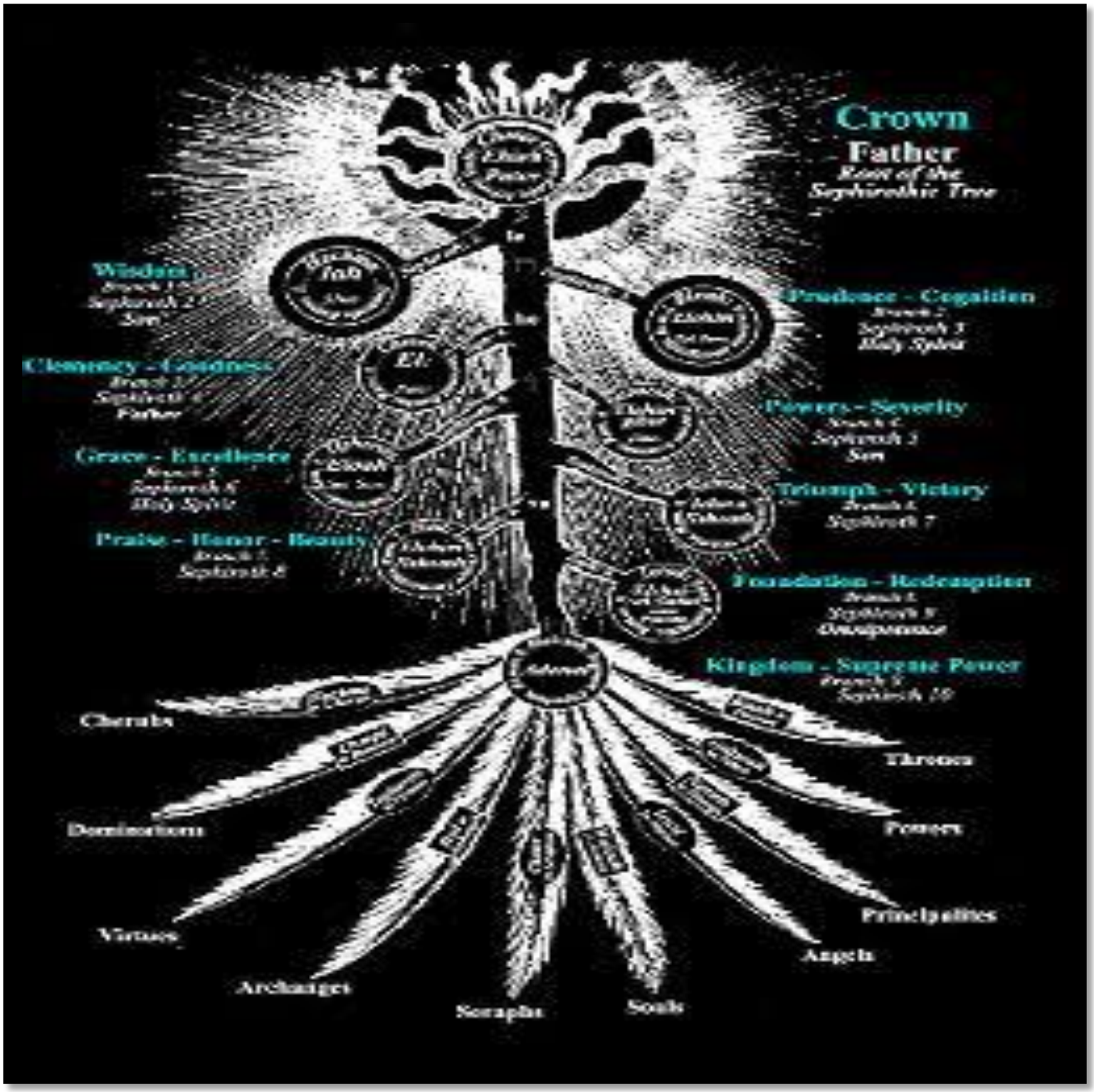

Crown
Father
Root of the Sephirothic Tree
Wisdom
Prudence - Cognition
Clemency - Goodness
Powers - Severity
Grace - Excellence
Triumph - Victory
Praise - Honor - Beauty
Foundation - Redemption
Kingdom - Supreme Power
Cherubs
Thrones
Dominations
Powers
Virtues
Principalities
Angels
Archangels
Seraphs
Souls

شجرة الحياة

نظرتُ له في خوف ثم جلستُ أمامه فقال بصوت هادئ لكن له صدىً غير محبب في النفس على الإطلاق
«طلباتك؟!»
«تزوجت منذ عشر سنوات ولم أنجب حتى الآن، وجربت كل شيء حتى الحقن المجهري ولكن دون جدوى، فلجأت لك فأنا أعلم أن الكثير من الناس شُفيوا على يدك» قلتها وقد ارتعشت الحروف وهي تهرب من بين شفتي
«هل تريدين أن تحملي إذن؟!»
«أجل، فحلمي منذ الصغر أن أصير أمًا لصبي، ذكر، (زكريا)..أسميته (زكريا) في أحلامي وأمنياتي»
ابتسم في ثقة زادته غموضًا وقال بنفس نبرة الصوت المريبة
«هذا أمر سهل، ولكن لكل شيء ثمن»
«وأنا جاهزة» قلتها وقد أخرجت مجوهراتي الثمينة التي لم أجد وقتًا لبيعها
نظر للذهب الذي كان يلمع أمامه في سخرية وقهقه بصوت مرتفع حتى أنني شعرت لوهلة أن الأرض

تهتز مع ضحكاته ثم قال وهو يزيح ذهبي من أمامه
«الثمن الذي أريده لا يقدر بمال، لن آخذ منك درهمًا»
«ماذا تريد إذن؟!»
«روحك»
«ماذا؟!» قلتها وقد اتسعت عيناي ذعرًا
«لا تخافي هكذا، القصد هنا أنه سيكون هناك ميثاق بالدم، هذا الميثاق لا رجعة فيه، مهما حدث من أمور فلا رجعة فيه، ستكون روحك أسيرة لدي ليس إلا»
كنت قد أغلقت عقلي وألقيت به بعيدًا قبل أن أدخل هذا المكان، فلم أفكر في العواقب التي يمكن أن تحدث من هذا الميثاق، بل أنني لم أفكر من الأساس، فقط هززت رأسي موافقة لعرضه دون تفكير، فابتسم ابتسامة واسعة كشفت عن أسنانه البيضاء المتسقة، ثم أخرج ورقة ملمسها غريب وأخذ يدون حروفًا وأرقامًا بها، ثم قرب الورقة مني والتي كانت لها رائحة تثير الغثيان وأخرج خنجرًا ذهبيًا انعكست لمعة نصله داخل عيناه فأصبح مخيفًا، ازدادت ضربات قلبي وأنا أقرب يدي لهذا النصل الحاد، فأمسك بهما واشمأززت قليلًا من ملمس يده الناعم

كالزواحف، ثم جرح يدي جرحًا صغيرًا، فتساقطت قطرات دمائي فوق الميثاق وهو يضغط على الجرح بقوة ولكني خشيت أن أصرخ.
لاحظت أن الدماء تنتشر فوق الميثاق بشكل غريب يشبه الشريان الذي يروي ظمأ الشيطان.
«يا إلهي، ماذا فعلتُ؟!!» قلتُ لنفسي
«فعلتِ ما كان يجب فعله منذ زمن»
استغربت منه فكيف علم ما يدور بخلدي، فأجبرت عقلي أن يخرس على الأقل طالما (أورهايون) يجلس أمامي.

وضع (أورهايون) قطرات من دمائي داخل كأس ذهبي صغير ثم ضمد جرحي.
جرح (أورهايون) يده بنفسه هو الآخر ووضع بضع من قطرات دمائه في كأس آخر وأخرج من درجه سماط أسود* حريري الملمس وشمعة الاستحضار** كان منقوش عليها اسم (ليغريغور L'Egrégore) وأسفل الاسم رسم وطلسم بشكل هندسي معقد غير مفهوم، ومن الجهة الأخرى بعض الحروف والأرقام وطلسم آخر غير الأول مكون من

بعض الأحرف من لغة قديمة وأرقام متشابكتين على شكل مثلث، فوضع عليه (أورهايون) بعضًا من دمائه كأنها تعريف بنفسه وكلمة سرية أو ما شابه ذلك.

كتب (أورهايون) بدمائي طلاسم على ورقة قابلة للذوبان واحتفظ بباقي الدماء في الكأس ثم رسم رسومات مخيفة تشبه الشياطين على هذه الورقة ووضعها داخل كوب به ماء قال إنه ماء مقدس وناوله لي لكي أشربه، أخذته بيدي المرتعشة حتى كاد أن يسقط مني وقربته من فمي ولكن سرعان ما أبعدته فرائحته كريهة جعل أنفي يتكور في اشمئزاز، ولكن نظراته الصارمة أجبرتني أن أكمل الطقس، فأغمضت عيني وابتلعته بسرعة لكي لا أشعر بطعمه المر كالعلقم.

---

*السماط الأسود: وهي عبارة عن قطعة قماش سوداء من الحرير، وهي أساسية في طقوس تحضير ليغرغوري، في وسطها نجمة داوود أو خاتم سليمان وفي الأسفل رمز الجماعة التي ينتمي إليها الساحر ويقال إن رمز الثعبان من أخطر الجماعات التي كانت موجودة ويزعم أنها انتهت.

**شمعة الاستحضار: وتسمى أيضا بشمعة الاستنزال بدونها لا يكتمل استدعاء ليغريغور، ويقوم الساحر بصناعتها يدويا وينقش عليها اسم الساحر السري والطلسم الخاص به واسم ليغريغور السري وطلسمه الخاص به.

ثم قام وفرش السماط على الأرض خلفي ووقفت بمحاذاة قماش السماط، كان الفضول يحركني في هذه اللحظة المخيفة، فألقيت نظرة على هذه القماشة السوداء الحريرية فوجدت مرسوم في وسطها الخاتم السليماني والمعروف بنجمة داوود وفي أعلى النجمة من الجهتين مرسوم القمر الكامل والناقص وأسفل النجمة رسمة لثعبان ضخم.
وضع طلسم مربوط وسكب عليه قطرات من دمي وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة، ثم وضع فوق هذا الطلسم شمعة الاستحضار وأشعلها.
ارتعدت أوصالي رعبًا وأنا واقفة خلف تلك الطلاسم

وذلك الطقس المريب لا أعلم ماذا ينتظرني، أشعر بالدماء تريد الهروب من عروقي.
ثم شعرت به، شعرت بوجود شيء ما بالغرفة، حتى أن صوت (أورهايون) نفسه أصبح خاضع ذليل وبه رجفة وهو ينطق باسمه (ليغريغور).
اهتز كل شيء بالغرفة وانطفأت بعض المشاعل التي كانت معلقة على جدرانها وانكسرت المصابيح
فخرجت صرخة من فمي حاولت كتمانها ولكنها شقت صدري وفرت منه، فرددت في سري آيات من القرآن فغضب (أورهايون) و(ليغريغور)، فشعرت بصدري يضيق وعظامه تنحر قلبي فتوقفت عن ترديد الآيات القرآنية فاستكملا طقسيهما.
سمعت (أورهايون) يذكر اسمي وسط كلماته الغير مفهومة ثم شعرت بشيء يلامس ساقي، أطلقت صرخة مرة أخرى وحركت قدمي في عنف كمن لامسه النار فأوقفها (أورهايون) بحركة من يديه، فاستسلمت لأوامره ثم شعرت بشيء يشبه الهواء الساخن يدخل بين ساقي ويتسلل عنوة كاللصوص داخل رحمي.
تألمت وأمسكت بأسفل بطني وسقطت على الأرض

أشعر بتقلصات تمزق أحشائي وأنا أتلوى، فتبسم (أورهايون) وأنهى طقوسه وهو يمد يده الباردة إلي قائلًا
«أهنئك من الآن، ولكن كما قلت لا تراجع، فبيننا ميثاق الدم»

2- زكريا

هززت رأسي موافقة، ومسحت دموعي الصامتة وانصرفت سريعًا وأنا ممسكة ببطني أتألم.
وجدت سائق سيارة الأجرة مازال ينتظرني فأشار لي لكي أدخل السيارة وعندما رأى يدي الجريحة خمن

ما حدث بالداخل، حرصت ألا تتقابل نظراتنا لكي لا يقرأ فيهما الصراع الذي يدور داخلي خاصة أنهما كانتان مغرورقتان بالدموع.
«إلى أين مدام؟!»
«إلى محطة القطار»
هيمن الصمت لفترة طويلة ثم نظر لي عبر المرآة وسألني
«مدام، هل أنتِ بخير؟ وجهك يبدو شاحبًا للغـ..»
لم يكمل السائق كلماته، تقيأت داخل سيارته مما جعله يتوقف فجأة حتى كاد أن يصطدم بسيارة تقف على الجانب الأيمن منه، ثم نظر لي ووجد وجهي شاحبًا كالموتى، أما القيء فكان عبارة عن شعر أسود خشن كثيف متكور بشكل غريب، ورائحته كالجيفة..
ظل واقفًا لم يتحرك، فهو يعلم أن كل هذا بسبب زيارتي للحاخام (أورهايون)، فلم يقبل على فعل أي شيء يثير غضبي، كان خائفًا مني، هكذا شعرت.
وعندما انتهيت من تفريغ معدتي، كنت متعبة للغاية، فاستقل السائق السيارة مرة أخرى وأدار محركها دون أن يتكلم، ألجمه الخوف، وندم على معروف

قرر أن يقدمه لي، فكان يحسب أنه يستطيع إنقاذي قبل أن أغرق في بئر اليأس وأستسلم للشر هكذا.
أما أنا فكنت أبكي بشدة، بكاء ندم وبكاء خوف وبكاء ألم قد اجتاحني.
«لا يمكنكِ التراجع يا غبية، لقد ورطتِ نفسك يا حمقاء» قلتها هامسة لنفسي وأنا مازلت أبكي وأسد أنفي بمنديل أحمله لكي أتجنب الرائحة النتنة الناتجة عن قيئي الغريب.

ثم ابتسمت وزادت دموعي ولكن هذه المرة كانت دموع فرح، فأنا الآن أشعر أن العطب الذي كان داخلي قد تم إصلاحه وبنجاح.
وصلتْ السيارة لمحطة القطار وقبل أن أخرج من السيارة وضعت قطعة من ذهبي -الذي رفضه الساحر- بالكرسي المجاور للسائق ومعه نقود أجرته، ولكنه قال لي
«خذي ذهبك مدام، سآخذ أجرتي فقط»
«هذا لأنك انتظرتني طويلًا، ولأنني لوثت سيارتك ربما ستحتاج إلى تغييرها، هذا حقك»
رفض عرضي مرة ثانية ثم قال

«مدام، خذي رقمي إذا احتجت من يوصلك لأي مكان، وكنت أريد أن أخبرك أنني أعرف شيخ ما يمكنه أن يعالج ما فعله الساحر ويـ...»
«لا، لا أريد شيوخ» قلتها بحزم
«حسنًا مدام، ولكن خذي حذرك»
اتجهت للمحطة لأنتظر قطاري على مقعد هناك، الشمس فوقي ككرة معدنية مشتعلة. دفنت رأسي بين يدي، كنت أخشى أن يقرأ الجميع ما فعلته اليوم إذا نظروا لي، حتى جاء القطار في موعده، صعدت داخل العربة وألقيت بثقل جسدي على الكرسي، كدمية قُطِعت حبالها، فتحت النافذة وأخذت نفسا عميقا من الهواء البارد، حفظته داخل صدري ثم لفظته ببطء كأنه النفس الأخير، كنت أشعر بالدوار، فأغمضت عيني، قرص الشمس البرتقالي خلف جفنَيَّ لم يختفي كأنه يسكن مقلتي.
حاولت لجم عقلي، كنت أريد الهدوء فقط ولكن عقلي أصرَّ على الضجيج.
وصلتُ لمراكش بعد حرب دامية بين قلبي وعقلي طوال الطريق، كنت منهكة، متعبة، الندوب تملأ

روحي ولا استطيع تضميدها، لا يوجد دواء إلا صوت ضحكات طفل أو بكاؤه.

دخلت بيتي ولاحظت أن (يعقوب) لم يعد من عمله بعد.
«حتى لو عاد فلن يلحظ وجودي من عدمه»
قلتها لنفسي متهكمة وأنا أرتدي ملابس النوم، نظرتُ للمرآة، لعيناي البنيتين التي تحيطهما دائرة سوداء، ولشعري الأسود المجعد الذي صرت أرفعه وأربطه باستمرار مانعة إياه من التحرر، لقد حبسته داخل سجني، وأنفي الصغير الذي كان يتكور كلما ضحكت من نكات يعقوب في بداية علاقتنا.
أين أنا؟! بحثت بداخلي عن نفسي فأسدلت شعري الطويل، ووضعت بعض من مساحيق التجميل أداري عيوب الزمن، وارتديت ثياب مثيرة، ثم تعطرتُ بعطر (يعقوب) المفضل واتصلت بمطعم قريب أحضر بعض الطعام، وبقيت أنتظر (يعقوب) لساعات.

غفوتُ قليلًا ثم استيقظت على صوت (يعقوب) وهو

يدير المفتاح في الباب، وقفتُ مكاني أستقبله ولكنه تجاهلني تمامًا، فقررت أن أتقرب منه، فمشيت خلفه ووضعت يدي على كتفه أنزع عنه بذلته، فنظر لي بازدراء وقال متهكمًا
«مالذي ترتدينه يا امرأة؟! أتحسبين نفسك في ريعان شبابك؟ ومالذي تضعينه على وجهك حتى صرت تشبهين المهرجين؟!»
ثم ضحك على كلماته التي كان صداها يمزقني، فدخلت الحمام وأذِنْتُ لدموعي بمسح مساحيق التجميل من على وجهي وارتديت ملابس أخرى غير التي كنت ألبس.
خرجت غاضبة من الحمام لأجده جالسًا على السرير ينظر لهاتفه ويبتسم وتلمع عيناه بينما يحادث شخصًا ما على الواتس اب.
«(يعقوب)، أريد أن أتحدث معك في شيء»
«ماذا تريدين؟!» قالها دون أن يرفع نظره من على الهاتف
«انظر إليَّ»
لم يعرني أي اهتمام وظل ينظر لهاتفه
«قلت لك انظر إليَّ» قلتها صارخة

نظر لي في غضب وقال بصوت مرتفع
«إياكِ أن تصرخي في وجهي ثانية إياكِ»
«قل لي ماذا أفعل وقد طردتني خارج حياتك، لم تنطق كلمة طلاق ولكني أشعر بأنني مطلقة بالفعل، تريدني أن أحمل وتهددني بالطلاق وأنت لا تلمسني، أصبحت المسافة بيننا كبعد المشرق والمغرب رغم أننا ننام متجاورين»
ظل (يعقوب) صامتًا فاقتربت منه وأنا ألمس وجهه بأناملي
«مازلت أحبك يا (يعقوب)، رغم قسوتك، ورغم أنني أعلم أنك تخونني، فنظراتك وابتساماتك ولمعة عينيك وأنت تمسك بهاتفك كانت لي يوما ما، والآن أصبحت لغيري»
ارتبك (يعقوب) بعد سماعه لتلك الكلمات ثم تمتم
«أنتِ تتوهمين، أ أ أنا لا أخونك»
«لا تكذب عليَّ يا (يعقوب)، أنا أكاد أراها داخل عينيك»
أشاح بنظره عني كأنه يريد أن يمنعني من التعرف على عشيقته
«لم تعد تريدني أليس كذلك؟!» لم أقوى على

الصمود أكثر من ذلك فخرجت كلماتي باكية
«أنااا...» ابتلع ريقه ثم أضاف
«أنا فقط متعب قليلًا»
هززت رأسي وخرجتُ وقررت أن أنام على الأريكة
وألا أهين نفسي مرة ثانية..

مرت الأيام وكان زوجي يتجنبني خلال هذه الفترة،
وكنت أشعر بيد تخنقني عندما حان موعد حيضتي
«يا ويلي، سيطلقني، ولكن ما ذنبي، لقد ألقيت
بنفسي إلى التهلكة من أجله»
كل يوم يمر كنت أشعر بالألم في أسفل بطني يشتد،
خناجر تتطعني مرارًا خاصة بعد تأخر عادتي
الشهرية.
فتحت درجي الممتلئ باختبارات الحمل منها
المستعمل ومنها الجديد، وأخذت واحد منهم ودخلت
الحمام وجربته، انتظرت ثوان كما هو مدون على
الغلاف، ثوان معدودة ولكنها كانت تمر علي كالدهر،
في كل مرة أجربه فيها..
لم أصدق نفسي عندما رأيت الخط الأحمر الثاني وهو

يظهر بوضوح
«مستحيل، هذا مستحيل»
خرجت وأحضرت اختبار حمل آخر من درجي، ودخلت الحمام وجربته بعد أن وضعته في الوعاء المملوء ببولي وانتظرت نفس الثواني وأنا مغمضة عيني وأعد في سري «1..2..3..4.....10»
فتحت عيني وإذا به مثل الذي قبله بنفس الخطين الأحمرين الواضحين كوضوح الشمس، بكيت من فرحتي وأنا أضع يدي على بطني وأقول
«هل تعلم كم انتظرتك؟! انتظرتك طويلًا»
ولكني تذكرت أن زوجي لم يلمسني منذ فترة طويلة، منذ أكثر من شهر تقريبًا، كيف حملت إذن؟!!
«ياللمصيبة، ياللمصيبة» قلتها وأنا أضرب بكفي على رأسي
«هل يمكن أن يكون حمل كاذب؟!» برَّرتُ

ظللت أكثر من نصف ساعة بالحمام أفكر في هذه الأسئلة والحيرة كادت أن تسلب عقلي، فقررت إخفاء خبر حملي عن زوجي وارتديت ملابسي ونزلت مسرعة متجهة إلى الدار البيضاء.

وصلت عند شقة (أورهايون) وطرقت الباب، فتح لي الرجل العجوز وسألني
«ماذا تريدين؟!»
«أريد أن أقابل الحاخام في أمر ضروري»
«ولكنك لم تتصلي لأخذ موعد»
أغلق الباب لولا أنني وضعت قدمي حائلًا لكي أمنعه، وقلت وأنا أنظر لعينيه من خلال الفتحة الصغيرة التي أمامي
«الأمر هام، قل له أنني جئت لأمر هام جدًا ولا يحتمل التأجيل»
نظر لي لبضع ثوان ثم سمح لي بالدخول وأشار أن أجلس لكي يخبره بمجيئي.
كان المكان مزدحمًا بالناس هذه المرة، جميعهم يملأه اليأس، والخوف يأكل وجوههم.
«(عائشة)، الحاخام ينتظرك»
قالها الرجل العجوز وهو ينتظرني بجانب الباب، فدخلت وجلست على نفس الكرسي الذي جلست عليه المرة الماضية وقلت في شيء من الجنون
«أنا حامل»
«مبارك» قالها مبتسمًا ابتسامة خبيثة

«ولكن زوجي لم يمسسني منذ أكثر من شهر»
رجع بظهره إلى الوراء وأسنده على كرسيه وقال
«هذه مسألة تحليها بينك وبين زوجك إلا إذا أردت أن أقوم بعمل سحر يقربه إليك»
سكتُّ في محاولة لاستيعاب كلامه ثم أردفت
«أنا حامل دون أن يمسسني زوجي، لم يلمسني بشر، ألا تعتقد أن هذا غريب؟!»
«اسمعيني مدام، أنتِ جئتني وطلبتِ مني أمرًا كان شبه مستحيل، ولقد نفذته لكِ، أنت تحملين في رحمك الآن معجزة، معجزتك كمعجزة مريم العذراء»
«ولكن...»
قاطعني قائلًا
«يبدو أنكِ نسيتِ ميثاق الدم، ونسيتِ أن هذا الميثاق لا رجعة فيه»
كنت معدومة الحيلة، فلم يجبرني أحد على ما فعلته، والآن يجب علي أن أدفع الثمن وحدي، ولكن هذا ثمنًا غاليًا.
خرجت من عنده عائدة لبيتي، وأثناء مكوثي بالقطار ومض هاتفي باسم (نوال) ولكني لم أجبها، وحاولت

التفكير كيف سأخبر زوجي (يعقوب) عن حملي العجيب هذا.

وصلت للبيت، كدت أفتح الباب بالمفتاح لولا أنني سمعت صوت ضحكات نسائية يالداخل، ففتحته على مهل، صوت الضحكات قادم من غرفة نومي، دخلت الغرفة ووجدت صديقتي (نوال) على سريري مرتدية ملابس نومها الشفافة وبصحبة زوجي (يعقوب).
«ماذا تفعلان؟!»
«(عائشة)؟!! قلتي لي أنكِ ستتأخرين» قالها (يعقوب) وهو يرتدي ملابسه
«عذرا (يعقوب)، لو كنت أعلم أنكما تخونانني لكنت تركتكما على راحتكما» قلتها في سخرية
«(عائشة) أنتِ لا تفهمين»
«ومالذي لا أفهمه؟! رأيت صديقتي في أحضان زوجي، هل هناك تفسير آخر؟!» قلتها صارخة
اقتربت (نوال) من يعقوب في دلال وقالت
«هوني عليكِ يا حبيبتي، نحن متزوجان»
نظرت لهما نظرات عتاب ولوم وغضب، نظرات جريحة ممزقة، ثم تركتهما ورحلت.

كنت أمشي دون وجهة، أبكي حتى كاد أن يحترق قلبي، الدموع ملأت مقلتي فلم أعد أرى أمامي، نظرت للسماء وصرخت متسائلة في غضب «لماذاااا؟ لمااااذاااا؟!» ثم شعرت بحركة مريبة داخل رحمي، كأنه يثور لغضبي.
تكاثفت السحب من فوقي، واختبأت الشمس وراء حجاب الغيوم. مشيت حتى وصلت لبيت (نوال)، انتظرتها هناك، لا أعرف مالذي دهاني، كأني مغيبة، مسلوبة الإرادة، فتحت شقتها بالمفتاح الذي معي، استأمنتني عليه في السابق، ولكنها من بدأت بالخيانة.
عادت (نوال) لمنزلها، دخلتْ الشقة وهي تدندن بموسيقاها المفضلة، ثم دخلت غرفتها ووضعت المفاتيح بجانب السرير، ثم اتكأت عليه وهي مازالت تغني في سعادة. تفاجأت بكتلة غامضة أعلى السقف، فأضاءت المصباح الكهربائي فصدر منها صرخة مرتعشة.
فوجدتني بالأعلى ظهري كان ملاصقا للسقف كالبرص، شعري منثور غطى على معظم ملامح وجهي وعيناي كانتا شديدة السواد.

«ع ع عاااائششششة؟!» قالتها (نوال) والخوف قد سكن جوارحها، شعرت بضربات قلبها تتباطأ، فانفتح فمي عن آخره بشكل مخيف، فكَّاي أصبحا متباعدين لدرجة غير طبيعية وداخلهما ظلام كفتحات القبور، تمتمت (نوال) بآيات من القرآن الكريم فرددت عليها مستهزئة بنفس الآيات ولكن الحروف كانت معكوسة وصوتي كان مخيفًا لا يشبه صوت البشر مما جعل (نوال) تسقط على الأرض من الخوف. أطلقت صرخة مكتومة ارتعش على أثرها جسدها كله بينما كنت أسحب روحها ببطء وأسمع قلبها وقد خفتت دقاته، فقد كان فمي مفتوحًا ليستقبل روحها ضيفًا داخل جسدي، ففارقت (نوال) الحياة على الفور وقد جحظت عيناها وتعلو ملامحها الشاحبة علامات الذعر. نزلت من سقف الغرفة وقفت على الأرض وشعرت بحركة مفاجئة داخل رحمي.. وظللت أنظر لجسد (نوال) الساكن وعيناها المتسعتان، كنت خائفة، خائفة من نفسي، كأن شيئًا داخلي هو الذي يحركني، شيء شرير.
«ياويلي، ماذا فعلتُ؟! ماذا فعلتُ؟!» قلتها وأنا أتراجع بظهري تجاه باب الشقة ولما وصلت

إليه خرجت مسرعة منه.
زمجرت الريح وعصفت حتي خدشت نوافذ روحي، وضرب سياط البرق الغاضب أنحاء المدينة، وهطلت الأمطار على حين غرة، شعرت أن هذا سخط الله عليّ، فكنت أبكي وأنا أجري في الطرقات وأنا أردد بصوت عال
«سامحني يارب، فأنا امرأة حمقاء»
طوقني الندم والخوف حتى كاد أن يمزقني. وصلت لبيتي وأنا مبتلة بفعل الأمطار، لم أجد زوجي كالعادة، فجلست على الأريكة دون حتى أن أنشف ثيابي، نظرت يميني فوجدت مصحفًا وقد كساه التراب، لم تأتني الجرأة حتى في لمسه، فكنت أشعر بأنني أصبحت مدنسة ونجسة ولم تطهرني تلك الأمطار التي أغرقتني، حتى مياه المحيطات لن تكفي لتطهيري، فرُحتُ أبكي وأنا أنظر تجاه المصحف.
شعرت بزوجي يدير مفتاحه ليفتح الباب فقمت مسرعة ودخلت الغرفة وأغلقت بابها، حاول (يعقوب) فتح باب الغرفة فوجدها موصدة من الداخل فطرق الباب بقوة وهو يهتف بصوت عال
«افتحي يا (عائشة)، قلت لك افتحي»

«اغرب عن وجهي»
«تعقلي وافتحي. يجب أن ترضي بالأمر الواقع، وسأتركك تعيشين معي و(نوال) وستربين أولادنا، فكري في العرض فليس لديك أحد غيري»
لاحظت أنه لم يصله خبر وفاة (نوال) بعد، فقمت وفتحت الباب وقلت له
«لا أريد عرضك السخي هذا، فأنا حامل»
«حامل؟!!!» سألني متعجبًا ثم تابع قائلًا
«ولكن كيف؟! أقصد أنني لم ألمسك هذا الشهر»
نظرت لعينيه في غيظ وقلت
«المعجزات تحدث»
أمسك ذراعي بقوة وهو يصيح غاضبًا
«ابن من هذا يا فاجرة؟! انطقي»
«أنا لست بفاجرة، أنا لست مثلك»
صفعني بقوة على وجهي مما أغضبني فنظرت له وقد اسودت عيناي كاملًا، وعندما رآني هكذا تراجع وحاول أن يهدئني ويقول بصوت مرتعش
«حبيبتي، اهدئي، دعينا نتفاهم أولًا»
كنت أقترب منه بخطوات تشبه خطوات الموتى، وهو يبتعد ولكنه قد التصق ظهره بالجدار ولا سبيل

للهروب، أما أنا فكنت أحاول الصراخ، كنت أحاول أن أقول له اهرب، ولكن روحي كانت حبيسة داخلي، كنت خلف قضبان الشر مكبلة بأساور السحر الأسود اللعين.

حاول (يعقوب) استعطافي مرة ثانية قائلًا

«حبيبتي، هيا نذهب للطبيب لنرى ولدنا الذي تمنيناه»

ولكني لم أكن أسمعه، كأني أصبحت صماء، لم أعد أسمع إلا لصوت الشر الذي بداخلي فقط... انفتح فمي عن آخره وتدلى الفك السفلي على

صدري، وعندما نظر يعقوب للسواد الذي أمامه، رأى مصيره وقد كتب، فوضع يده على رقبته لكي يمنع روحه أن تنفلت منه، ولكن هيهات، ففمي الآن صار كثقب أسود يبتلع كل روح تغضبه دون تردد.

وهتفت بصوت مخيف أجش كأنه قادم من أعماق الجحيم

«المجد لـ(ليغريغور) .. المجد لـ(ليغريغور)»

خرجت من (يعقوب) صوت حشرجة مكتومة ثم فارق الحياة، تحرك بطني مرة ثانية في سعادة كمن شبع بعد جوع، ثم أدركت ما فعلت متأخرًا؛ جلست على

ركبتي وأخذت أهز في جسد زوجي وأنا أصرخ باسمه
«(يعقوب) رد علي، لا تمت الآن يا (يعقوب)، لا تتركني أرجوك.. لا تتركني»
تساقطت دموعي على وجهه المذعور وأنا أضمه إلى صدري وأحاول إيقاظه.. فاتصلت بالإسعاف آملة أن تكون هناك معجزة تعيده للحياة مرة أخرى.
وصل المسعفين وتحسسوا نبضه ثم أردفوا قائلين
«مات يا مدام، أنا آسف»
«آاااااااااه يا (يعقوب) آاااااااه»
صار قلبي محطمًا، فرغم قسوته إلا أنني كنت أحبه، ولم أتخيل في يوم -رغم كل شيء- أنني سأتسبب في موته.

ثار موت (يعقوب) و(نوال) شكوك الشرطة، ولكن بعد التحريات وكشف الطب الشرعي الذي أثبت أن موتهما كان طبيعيًا رغم علامات الذعر التي كانت تعتلي ملامحهما، بعدها قررت أن أعتزل العالم، فأنا لا أريد المزيد من القتلى، فمكثت في بيتي حتى أنني كنت أطلب طلبات البيت عبر الهاتف وأجعلهم

يتركوها أمام باب الشقة، ثم أترك لهم النقود على العتبة، وبرر الجيران هذا أنني حزينة بسبب فقداني لزوجي وصديقتي في يوم واحد.
ولكن هذا الكائن كان أقوى مني، كان يحركني كدمية، سيطر على روحي، رُغمًا عني كنت أستجيب له، أبحث له عن ضحية جديدة يتغذى على روحها.
نزلت ليلًا، أسبح في الظلام، أطوف ببصري أبحث عن فريستي، حتى وجدته، رجل يبحث بين القمامة عن بعض الفتات الصالح للأكل. وأنا كنت جائعة أيضًا، وأبحث عن روح، وقفتُ أمامه، ففزع وانتفض، بدأ يبسمل ويحوقل، دمائه فرت من عروقه، ركض هربًا مني، تعثر عدة مرات، ولكن خطواتي كانت أسرع، خطوات شيطان، جلست فوقه كالجاثوم، وانفتح فمي عن آخره، انتفض جسده بينما روحه كانت تخرج في صخب، جسده يترجرج كقدر مغلي، ثم همد وسكن للأبد.
تحركت بطني وتكورت، كبرت سريعًا، في خلال أسابيع كان بطني يبدو كأنه في شهره الخامس، كنت طوال النهار أمكث في بيتي، ابكي ندمًا عما فعلته الليلة الماضية، وفي المساء كنت أخرج باحثة عن

روح أخرى تُغذي جنيني، كنت أشعر بأنني أخرج من النور إلى بحر الظلمات، بموجاته العالية العاتية، التي تغمر كل شيء، تغمرني موجات الظلام بالضياع، حتى غرقت ولم أجد مركبًا ينقذني.
لم يسلم من شر ما برحمي أحد، أطفال وشيوخ وشباب، سلموا روحهم لي، ولما كثرت ضحاياي، تزايدت شكوك الشرطة، وكثر حديث الناس، قالو أن عزرائيل احتل مدينتنا، والموت أصبح رابضًا فوق رؤوسهم يمسك بأرواحهم بمخالبه.

صرت الآن في شهري التاسع، فقررت زيارة الطبيب لأول مرة رغم رغبتي القوية في رؤية جنيني في الشهور السابقة، ارتديت ملابسي التي أصبحت ضيقة وغير ملائمة لجسدي الممتلئ ونزلت للشارع؛ أذتني أشعة الشمس التي حرمت من رؤيتها طوال هذه المدة، فوضعت يدي على عيني في حركة لا إرادية لمنع أذاها وواصلت مشيي.
تقلص بطني، كان جنيني يخبرني أنه جائع، ولكن هذا النوع من الجوع الذي لا يشبعه إلا روح شخص

ما، حاولت أن لا أصغي إليه وإلى توسلاته، فقد حان موعد وضعي له، ماهي إلا بضعة أيام وسألد.
وصلت للمستشفى وجلست على سرير الكشف
وسألتني الطبيبة
«في أي شهر أنتِ يا عائشة ؟!»
أجبت وأنا أكشف عن بطني
«التاسع»
«حسنًا، سنرى هل وليدك مستعد للخروج الآن أم لا؟»
وضعت الطبيبة جهاز السونار على بطني الكبير والذي كان يتحرك بجنون، وأخذت تبحث يمينا ويسارًا، قطبت جبينها في عدم فهم، ثم استدعت التمريض وطلبت منهم أن يجيئوا بزميلها الدكتور (مايكل).
«هل ابني بخير يا دكتورة؟!»
«قولي يا (عائشة)، متى كانت آخر مرة زرتِ فيها طبيبك؟»
«هذه هي أول مرة لي»
سكتت الطبيبة وهي مازالت تنظر إلى الشاشة أمامها، دخل دكتور (مايكل) وألقى التحية عليّ،

فاقترب من الشاشة وأخذ يتهامس هو والطبيبة، فوجهت الطبيبة حديثها لي قائلة
«(عائشة)، لا يوجد حمل، فرحمك خاو لا يوجد به شيء»
«كيف هذا؟!» قلتها وأنا أنظر لبطني الكبير الذي كان يتحرك بعنف
«سنحجزك هنا بالمشفي ونقوم بفحصك وعمل بعض التحاليل والأشعة، فأمرك مريب»
صمتُّ واستسلمت لطلبهم ومكثت بالمشفى طوال اليوم لفحصي، وعندما حل المساء صعد الدكتور (مايكل) لزيارتي، فالتحاليل تؤكد حملي، أما السونار والأشعة فلهما رأي آخر.
دخل غرفتي ولكن السرير كان خاليًا، ثم شعر بهمس خلفه لم يستطع تمييز الكلمات التي تُردد، استدار ليجدني أمامه وعيناي تشبهان البئر المظلم بسواده، ارتعدت أوصاله ورسم علامة الصليب على صدره وأخذ يردد صلاة الربّية (أبانا الذي في السموات) فرددتها أنا بصوتي المخيف بالمقلوب معلنة تحدياتي لكل شيء مقدس، وفتحت فمي على مصراعيه حتى صار يشبه فتحة الكهف المظلم،

وامتصصتُ روحه وابتلعتها ثم قلت «المجد لـ(ليغريغور).. المجد لـ(ليغريغور)..»

شهقت وأنا أنظر لجثة الطبيب المذعورة، كنت أريد الموت في هذه اللحظة، فأنا ملعونة، والذي بداخلي ليس ببشر!
هربت من المستشفى وأخذت أختبئ في الحواري والأزقة وأنا أحاول أن أبتعد عن أرواح الناس بقدر الإمكان، وأغمضت عيني أفكر في حل يجعلني أتراجع عن ميثاق الدم، ولكني وجدت جميع الأبواب أمامي موصدة، إلا باب واحد ولكنه يؤدي إلى الجحيم.

مرت السنين ولم ألد حتى الآن، تسع سنوات كاملة وأنا مازلت حامل، زرت العديد من الأطباء وجميعهم أثبتوا أنه لا وجود لحمل داخل رحمي رغم بطني المتضخم والذي كان بداخله شيء يتحرك كالبهلوانات، كان ما في بطني يتحرك يمينا ويسارًا

محدثًا موجات عالية، رفضت إجراء أي عملية لكي يتبينوا ما بداخلي، فمعنى هذا الحنث بميثاق الدم، وخلال هذه التسع سنوات حصدت فيهم أرواح كثيرة لم أستطع عدَّها، كنت قد تغلبت على عزرائيل في مهمته ، كنت أحصد أرواح كل من يمر بجانبي تقريبًا، ولم أكن بحاجة لمنجل عزرائيل فالذي بداخلي كان مثل ثقب أسود يسحب أرواح الناس دون تردد. وهذا الوحش الذي يسكنني لا يشبع ولا يمل، بل دائمًا ما يقول هل من مزيد.. هل من مزيد.. أما أنا فكنت أشعر بأنه لا يوجد أسوأ مما أنا فيه الآن، فالألم الذي يمزقني بمجرد تحرك بطني، غير أن قلبي قد تحطم مع زهق كل روح بسببي، لم يعد لي قيمة ولا وجود، فقد أصبحت جسدًا هشًا ينتظر الريح لكي يحيله إلى تراب، فاتخذت قراري النهائي بأن أعالج هذا السحر الذي دمر حياتي.

ذهبت لمعالج روحي في مدينتي وقصصت عليه كل ما حدث من أول يوم ذهبت فيه للحاخام وميثاق الدم، كان سيطلب لي الشرطة بسبب قتلي لكل هؤلاء الأشخاص، ولكني رجوته أن يعالجني أولًا ثم يفعل

بي ما يشاء، فمعنى هذا المزيد من الأرواح.
سألته قبل أن يبدأ طقوسه
«من هو (ليغريغور) فدائمًا أذكر اسمه وأمجده؟!»
«(ليغريغور) روح علوية مقدسة عند اليهود، ولكن لديه القدرة في جذب الجن والشياطين والأرواح السفلية ويجعلها تطيع أوامره، فالذي برحمك روح سفلية شريرة تقدس (ليغريغور)، فسحر الكابالا من أسود أنواع السحر وبميثاق الدم جعلتِ مهمتي عسيرة فأتمنى أن ننجح»

كان بطني يتحرك بقوة وكأن الذي بداخلها عرف نيتي فأعلن عن غضبه، أسمع صراخه داخلي، وحدي دونًا عن الجميع أسمع صراخه يمزقني كلما سمعت قراءة المعالج للقرآن، وكلما لمست يد المعالج بطني، صعقت يد المعالج فانتفض وهو يتألم، يده كادت أن تحترق بسببي.
لدي رغبة جامحة في قتله الآن، أريد أن أسلب روحه، ولكني أعرف أنني لن أستطع فقبل أن أفتح فمي سيغرقه ببعض الماء المقدس.

فقد كان يقرأ بعض الآيات على كوب ماء مضاف إليه بعض الأعشاب لعلاج هذا السحر ثم طلب مني أن أشربه.

ترددت قليلًا فخفت أن أورط حالي في شيء آخر، ولكن ليس أمامي حل آخر، فأمسكت بالكوب والذي كان رائحته زكية وشربت ما بداخله..

فجن جنون الكائن الذي ببطني، أصبح يتحرك بقوة حتى أنه أوقعني أرضًا وأنا أصرخ من الألم، رفعني هذا الكائن وهو ببطني لأعلى ثم أسقطني أرضًا وسط ذهول المعالج الروحاني.
حاول أن يساعدني ولكن كلما اقترب أطاح بي ذلك الكائن عرض الحائط..
هدأت قليلًا فقلت بصوت ضعيف أرهقه التعب
«يا الله، سامحني يا الله»
ثم انشق بطني وخرج منها كائن لونه أسود كالظلام

في شدته، كنت مازلت على قيد الحياة، ولكني علمت أنها مجرد لحظات وأفارق الحياة.
ابتعد المعالج وأخذ يردد الآيات والتعاويذ التي يحفظها، ولكن تلك الروح السفلية كانت ضعيفة وتترنح يمينا ويسارًا وكأن الهواء في عالمنا لا يناسبه، يسممه، فهذا الكائن يعيش داخل الأرحام ويتغذى على الأرواح فقط.
لاحظت أن هذا الكائن ذكرًا كما تمنيت تمامًا، كنت أرجو أن أنجب ولدا وأسميه زكريا ولكن على ما يبدو أنني لم أحدد من أي فصيلة أريده من البشر أم من المخلوقات السفلية..
سقط ذلك المخلوق وسط دمائي وهو يردد بصوت متقطع و يلتقط آخر أنفاسه
«المجد لـ(ليغريغور) المجد لـ(ليغريغور)»

-تمت-

بـــالـــريـنــا

(بالرينا)

طق طق طق

سمعت صوت طرقات على باب المنزل فارتديت الشال الصوف ثم قمت متجهة إلى الباب وأنا أردد -من بالباب؟!.

لم يأتني رد، ترددت قبل أن أفتح الباب، نظرت من العين السحرية فلم أجد أحد، -ربما أحد الصبية يلهو. فكرت.
أدرت ظهري متجهة إلى الأريكة لأكمل مشاهدة المسلسل التليفزيوني.
طق طق طق

كنت قد خطوت خطوتين فقط ناحية الأريكة،
فجرجرت نفسي ناحية الباب مرة أخرى وفتحته وأنا أصيح
-سأقول لأمك يا (سماح)، توقفي عن طرق الباب.
هذه الفتاة من الفتيات التي استحوذ عليها روح صبي حتمًا، طريقة كلامها وسبابها الفظ، حتى أنها لا تلعب إلا مع الصبيان، كدت أعود مرة أخرى ولكني تنبهت بشيء تحت قدمي، علبة كبيرة ملفوفة بعناية، حملتها ودخلت لشقتي واتجهت للأريكة وهويت عليها ببطء وانا أتفحصها.
ورق هدايا ملون باللون الوردي الأحمر الذي أحبه، ولكن لا يوجد كارت ما يحمل اسم المرسل، تعاظمت

دقات قلبي، ربما قنبلة! _ فكرتُ.. ولكن من الذي يضع قنبلة في بناية ليست بمكان حيوي وعدد سكانها قليل؟!
ربما أحدهم يود التخلص من الملعونة (سماح) ولكنه أرسلها لي بالخطأ.. ضحكت من الفكرة التي ابتكرتها، ثم تركت الصندوق جانبًا، ولكن الفضول كان أقوى مني، فحملتها بين يدي، ثم كشفت سترها بعناية، فوجدت صندوق خشبي من الخشب القديم متوسط الحجم، بداخله راقصة باليه ترتدي فستانًا أسود اللون وهالتان رماديتان تحيطان عيناها وفي جانب الصندوق زنبرك ينتظر اليد التي ستقوم بتشغيله
-هل أخطأ المرسل العنوان؟! من يا ترى سيرسل لي هدية كهذه؟.
أغلقت الصندوق ونزلت البالرينا في قبرها الخشبي الصغير ووضعته جانبا منتظرة عودة المرسل الذي بالتأكيد أخطأ العنوان.

تابعت مشاهدة المسلسل والذي قد قارب على الإنتهاء ولكني شعرت بجلبة داخل الصندوق، وكأن هناك وحش حبيس يريد أن يتحرر.
أمسكته في تردد، رأيت نقوشًا محفورة عليه في كل اتجاه، نقوش غريبة لم أراها من قبل ففتحته مرة أخرى ثم أدرت الزنبرك
تيرارا رارا تيرارارا تيرارارا تيرارارا
وبدأت البالرينا في الرقص والدوران، كنت أشعر برشاقة وخفة في حركاتها لا تخرج من مجرد دمية صغيرة، ثم توقفت الموسيقى وتوقفت هي عن الحركة، ثم أضاء ظهر الصندوق الذي خلف الراقصة وكشف عن شاشة رقمية ذات عد تنازلي والعدد المكتوب عليه يتنازل في سرعة، كان العدد (22-3-5).
لم يعر انتباهي هذا الرقم على الإطلاق في بادئ الأمر، ما أثار انتباهي هو تلك الراقصة، ظللت أحدق إليها بعينين مواربتين، أدقق في ملامحها المرسومة بدقة، لو تكلمتْ لن أتعجب، هي فقط تنتظر أن تُنفث الروح داخل جسدها.

أغلقت الصندوق مرة أخرى عليها، ولاحظت أن العدد قبيل إغلاق الصندوق قد تناقص وأصبح (13-4-58)، فوضعتها بجانبي، وأكملت مشاهدة مسلسل وراء آخر دون تركيز.

فجأة شعرت بإعياء، وكأن يد خفية تمسك بقلبي وتقبض عليه ببطء، التنفس أصبح مؤلمًا، هل هذه النهاية؟ هل سيلحظ أحد غيابي، أم سيكتشفون موتي بعد أن يتعفن جسدي وتنتشر رائحة الموت داخل بيوتهم لتجبرهم ولأول مرة أن يطرقوا بابي..
وضعت يدي على صدري وكأني أزيح تلك القبضة السوداء التي تمسكه، وقفت وأنا أستند عازمة أن أفتح باب المنزل هذا إذا استطعت الوصول إليه قبل أن يصل الموت إليّ، تعثرت وأوقعت عدة أشياء من على الطاولة التي بجانبي وكان من بينها صندوق البالرينا، ولما سقط على الأرض سقطتُ أنا أيضًا بجانبه وروحي تصارعني لكي تتحرر من جسدي.
انفتح الصندوق إثر وقوعه ولاحظت بجانب عيني أن العد التنازلي الذي كان باللوح الرقمي قد قارب على الصفر

10 11 12 13
أمسكت بالصندوق ويدي ترتجف وقد خارت قواي وتحول لون وجهي للأحمر وأنا أحاول أن أملأ رئتاي الخاويتين بالأكسجين
3 4 5 6
أدرت الزنبرك فتوقف العد وفر الموت بعيدًا من بين أضلعي وبدأت البالرينا بالرقص
تيرارارارا تيرارارا تيرارارا تيرارارا تيرارارارا تيرارارا
ثم توقفت وهي تنظر إلي، نعم، لقد لاحظت عيناها تدور باتجاهي، ولكن الآن لم يشغل بالي تلك البالرينا كالمرة السابقة، بل اللوح الرقمي الذي تغيرت الأرقام عليه فصارت(17-47-9) وبدأ العد التنازلي....
نظرت للساعة البنية المعلقة على الحائط، وتذكرت أنه من 5 ساعات تقريبا قد أدرت الزنبرك ورقصت البالرينا لأول مرة، وبعد انتهاء المدة ومع العد التنازلي كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت.
وها أنا الآن أنظر لهذا اللوح الرقمي كشاهد لقبري وهو يعد كم تبقى لي من هذه الحياة البائسة، 9 ساعات فقط وسأنام في قبري وأنا أحتضن التراب!

سرت قشعريرة في جسدي وانحبس الدمع داخل مقلتي، فأنا أخاف الموت، رغم أن الوحدة قاتلة ولكنها أصبحت خير صديق لي، إلا أن الموت مخيف، مقبض.
ثم فكرت، ما الذي سيتغير إن مت؟ المكان؟ فأنا في جميع الأحوال أعيش وحدي، ربما الموت أفضل لي، سأتسامر مع الدود وأتركه ينهش من لحمي كما نهش الأحياء من روحي.
(8-56-6)
الوقت يمر، يعدوا كالريح، وكأنه قد تآمر ضدي هو الآخر ويريد التخلص مني، انتظار الموت في حد ذاته قاتل.
إنها لعبة حظ، أشعر أني أقامر عزرائيل، ولكن فلأجرب ثانية
أدرت الزنبرك، توقف العد، وبدأت الراقصة المريبة تتمايل في انسيابية.
تيرارارارا تيرارارا تيرارارا تيرارارا تيرارارارا تيرارارا

(20-0-0)
20 ثانية!!
اتسعت عيناي ذعرا، وبدأ قلبي يتهاوى من جديد، فأدرت الزنبرك وأنا أدعو الله أن لا تكون المدة المتبقية هي ثانية واحدة
تيرارارارا تيرارارا تيرارارا تيرارارا تيرارارارا تيرارارا
(23-8-11)
تنفست الصعداء، أمامي يوم كامل، هذا أفضل، ربما سأجد طريقة للتخلص من تلك اللعنة.

تركت صندوق البالرينا بالردهة، ودخلت الغرفة أتدثر تحت الغطاء، والريح تطرق الأبواب والنوافذ حاملة معها الأمطار كضيف غير مرغوب فيه.
لم أكن بحاجة للنظر إلى اللوح الرقمي فعقلي قد امتنع عن التفكير في أي شيء آخر وظل مستيقظا ليحسب ما تبقى لي من العمر، وكأن اللوح الرقمي قد انتقل تلقائيا داخل رأسي فمع كل ثانية تنتقص من حياتي كانت أشبه بمطرقة تدق مسمارا في نعشي.

في زاوية الغرفة لمحت ذلك الجهاز المسمى بالحاسب الآلي، كنت قد اشتريته منذ زمن لكي أتحدث مع ابني الذي هجرني وسافر إلى أمريكا ولكنه ظل هكذا بعدما يئست من حجج ابني الفارغة التي كان يستخدمها للهروب مني، ويأس هذا الجهاز أيضا من أن يُفتح ثانية، ترى هل أجد إجابة لما سيحدث لي على شبكته العنكبوتية؟! ولكني بالكاد أعرف كيفية استخدامه وليس أمامي وقت لكي أتعلم من جديد، وأخاف أن أقامر مع البالرينا فتنتهي حياتي قبل أن تنسحب يدي من على الزنبرك.

ظللت هكذا مكتوفة الأيدي أعد الثواني والدقائق والساعات، هل سألتقي بزوجي في الفردوس أم سأُلقَى في أعماق الجحيم؟!
هل ستركلني روحي وأتألم وهي تفر من جسدي بعدما تحررت من هذا السجن المترهل المليء بالتجاعيد أم ستكون هي اليد الحنونة الوحيدة فتخرج مني سهلة هينة يدميها الفراق؟
(24-15-19)

كان الوقت يمر ولم يجد عقلي أية إجابة على تساؤلات عدة ففر هاربا إلى غفوة صغيرة، رأيت فيها كابوس، كل من ظلمتهم يرقصون فوق جثتي المتعفنة التي خرج منها القيح، يرتدون الأسود ويلبسون قناع الحزن الزائف والذي يغطي على ابتسامة شيطانية أسفل منه، ويرقصون على أنغام البالرينا

تيرارارارا تيرارارا تيرارارا تيرارارا تيرارارارا تيرارارا

كنت أتألم ولكني لم أستطع الصراخ، نظرت لوجوههم مرة ثانية فوجدتني بينهم أرقص على جثتي وأرتدي فستان أسود يشبه فستان الدمية الراقصة التي بالصندوق وأتمايل كما تتمايل هي تمامًا، لقد ظلمت نفسي أيضًا كما ظلمتهم جميعا، كنت أريد أن أقول سامحوني، أعطوني فرصة ثانية، سأصلح ما دمرته يدي، ابني بينهم يرقص بسعادة بالغة، أنا السبب في هجرانه لي بعدما أوقعت بينه وبين زوجته، غيرتي أعمتني، ظلمتهم جميعًا، كنت سيئة، سيئة جدًا. رب

ارجعون لعلي أعمل صالحًا، ولكني كنت أعلم أنني سأرجع لخبثي مرة ثانية، كنت متيقنة من ذلك.

قمت فزعة من منامي والعرق قد بلل ملابسي رغم البرد الذي كاد أن يقضم أطرافي، رأيت خارج الغرفة ظل لفتاة ترقص، فتاة كبيرة وليست دمية ولكني عندما أضأت المصباح لم أجدها، نظرت لساعتي فوجدتها التاسعة صباحًا ففزعت وأنا أعاتب نفسي
-ثمان ساعات؟ هل نمت كل هذا الوقت؟ كيف سمحت لنفسي بأن يمر عمري ويتفلت من بين يدي هكذا؟!
صار عمري كحبات اللؤلؤ التي تتفرط من العقد فلم يعد إلا حبات قليلة.
مشيت مسرعة إلى باب المنزل وصارعت الألم الذي تحمله ركبتي بسبب الروماتيزم ولكن الثانية الآن أغلى من الذهب، فتحت الباب وناديت بأعلى صوت وأنا أنظر لأسفل
-يا اسماعيييين، يا اسماعيييين.

سمعت صوت انفتاح الباب، فإسماعيل هو ابن البواب، متعلم تعليم جامعي ولكنه لم يجد وظيفة حتى الآن، فصار يساعد أبيه ويلبي طلبات السكان التي يعجز عن تلبيتها أبوه.

بعد دقائق وصلني صوته

-نعم يا حجة، ماذا تريدين؟!.

-أريدك في خدمة، مدفوعة الأجر بالطبع.

كان من الممكن أن أدفع كل ما أملك لكي يسرع إسماعيل خطاه، فلو لم أذكر له أنني سأدفع له مقابل الخدمة ربما كان سيتحجج بألف حجة قبل أن يلبي طلبي، أما الآن فأنا أسمع خطواته تتسارع على السلم صعودًا إلي حتى كاد أن ينقلب على وجهه.

قال وابتسامة تعلو شفتيه الغليظتين

-اؤمريني يا حجة.

يالك من وغد يا اسماعيل، طلبت مساعدتك مرارًا على مر السنوات ولكنك كنت تتلكأ، أو ربما أنا التي يجب لومها، اعتدت أن آخذ فقط دون أن أعطي.

-اتفضل يابني بالدخول، أريدك أن تعلمني كيف أقوم بالبحث على هذا الجهاز المعقد المسمى بالحاسب الآلي.

لطم قفاه الخمري بقوة وأردف -رقبتي، تحت أمرك يا ست الكل.
دخلت الغرفة حيث يقطن ذلك الجهاز واتبعني اسماعيل مسرعًا، أزلت الأتربة من على الحاسب الآلي بمنشفة صغيرة وقلت
-علمني كيف أقوم بالبحث على الانترنت.
كتم ضحكة سخرية تموجت على صفحات وجهه المليء بالندوب وقال
-عن ماذا تريدين البحث؟ وسأقوم أنا بذلك.
-لا.. أريد أن أتعلم، أريد أن أبحث أنا ولكن سريعًا.
سكت قليلًا وهو يحاول تشغيل الحاسوب وتمتم
-أمرك يا حجة.
ولكن الحاسوب لم يستجب لمحاولات تشغيله، لفظ أنفاسه الأخيرة منذ فترة ولم ألحظ حتى.
-متى كانت آخر مرة قمتِ بتشغيله يا حجة؟. قالها وهو يفتح الصندوق الخاص بالحاسوب
-منذ أن هجرني ابني محمود، منذ 3سنوات، و5شهور، و21 يوم.

فتح فمه مستغربًا ولاح الحزن على وجهه ولم ينطق بحرف، حاول تفكيك وتركيب بعض الأشياء التي بداخله ثم أردف
-لا أستطيع تشغيله، سآخذه معي وأصلحه لكِ إذا أردتِ ولكن الحساب سيختلف، سيكلفك تصليحه.
-كم سيستغرق من الوقت تصليحه؟.
-ربما يومين. قالها ولم يدرك أن هاتين الكلمتين بمثابة جبل جليدي وضع فوق رأسي، لم يتبقى لي إلا بضع ساعات وهو يقول يومين.
قرأ بين صفحات وجهي وتجاعيدها حزنا قد نحت ملامحي، فردد قائلًا
-أتريدين البحث عن ابنك؟ هل سيضرك الانتظار؟ انتظرتِ طويلًا فلن يضيرك إذا انتظرتِ عدة أيام.
لم أنطق حينها، فأنا كنت أريد البحث عن حياتي، عن اللعنة التي خبأت روحي داخل صندوقها الخشبي، فأضاف قائلًا
-يمكنك شراء واحد جديد.
-حسنا أنا موافقة، ابتعه لي أنت هذا الجهاز ولكن أسرع أرجوك.

-أمهليني فقط ثلاث ساعات وسأحضره لك، ولكن لي الحلاوة.
-الآن، الآن يا اسماعيل، فالأمر ضروري، أرجوك، وسأعطيك مبلغ كبير، كبير جدًا لدرجة لن تصدقه عيناك.
لمعت عيناه وسرح للحظات وعلى وجهه ابتسامة وقال
-(فُورّيرة) يا حجة.
خرج مسرعًا يفكر بالمبلغ الذي سأعطيه له، مبلغ سيزيح همومًا من على كتفيه كانت كالجبال ويستبدلها بأحلام انتظر تحقيقها لسنوات.
اتجهت للصالة، مشيت بخطوات بطيئة، وكأنني أسير في جنازتي، وقفت بجانب الصندوق الخشبي وفتحته، رأيت عداد الموت مازال يعد وتتناقص الساعات المتبقية.
(5-31-9)
تسع ساعات ونصف، توترت فقضمت ما تبقى من أظافري، فكرت إذا كسرت هذا الصندوق بما يحويه من شهادات وفاة لي ولمن قبلي ولمن بعدي!

أحضرت المطرقة الخاصة باللحم من المطبخ ووضعت الصندوق على الأرض وأغمضت عيني وأنا أدعو الله أن ينجيني من هذا الهلاك ورفعت المطرقة ونزلت بكل ما أوتيت من قوة على الصندوق فارتدَّت الضربة إلي فوقعت أرضًا وأنا أتأوه من شدة الألم، أما الصندوق فلم يخدش حتى، تيقنت حينها أنه لا سبيل للخلاص منه، وأنه محمي بوسيلة ما خفية أقوى مني وأقوى من أي شيء، رغم مظهره الخارجي الخشبي الهش إلا أنه كالفولاذ في قوته، ربما التعاويذ المحفورة على الخشب هي التي تعطيه تلك القوة.

قمت من على الأرض وأنا أشعر بغضب وشر يحوم حولي كأسراب من النسور الذي وجدت جيفتها، فانقبض قلبي ودخلت الحمام وتوضأت، سألجأ إليه، ربما سيسامحني وسيحميني إذا لجأت إليه، فكلها ساعات وسأكون في حضرته.

رفعت يداي إلى أذني ولأول مرة أقولها من قلبي وليس بطريقة روتينية.

(الله أكبر)

نزلت دموعي كزخات المطر التي كانت تضرب أسطح المنازل دون هوادة، رددت الفاتحة وما تيسر من القرآن، فركعت ثم سجدت، كنت أريد أن أظل هكذا، ظللت أدعوه دون أن أنطق، وصلت لمرحلة الصمت فيها صارخًا، قلبي هو المتكلم الآن، فعلتُ ما فعلت دون أن أخشاه، والآن الموت يقترب، أصبح لصيقا لي كظلي، ينتظر اللحظة التي سينحر عنقي بمنجله، سيحصد روحي وهو يبتسم في تشفي، فأنا أستحق.

انتهيت من صلاتي وظللت جالسة أنظر للساعة المعلقة على الحائط تارة، وتارة أخرى أنظر للصندوق الملقى على الأرض بجانبي، ظللت هكذا قرابة الأربع ساعات أنتظر إسماعيل أن يأتي بالحاسب الآلي الجديد، نافذتي إلى الحياة والخلاص من اللعنة، يؤلمني أنني أعرف متى سأموت وأنا مازلت جالسة، يداي مكبلة، ولساني صار أثقل من الحديد، ودقات قلبي تتزامن مع دقات الساعة. ماذا ينبغي أن أفعل في آخر ساعات أقضيها في عمري؟ لا أعرف

(4-53-40)

طرق الباب، فانتفضت، قمت مهرولة لكي أفتحه، ولكني لم أجده، وسمعت صوت ضحكات طفولية أسفل السلم فصحت في غضب
-يا سمااح يا ملعونة يا ابنة الشياطين، توقفي وإلا أوسعتك ضربا بعكازي، أهلك لم يوقفوك عن أفعالك سابقا ولكني سأفعل، أقسم بالله ستندمين.
ثم سمعت صوت خطوات قادم من الأسفل فنظرت من السلم ورأيت اسماعيل حاملًا على ظهره الجهاز الجديد.
انفرجت أساريري وتبدل غضبي بارتياح قليل وهتفت
-تأخرت يا اسماعيل.
قال وهو يلهث
-مسافة السكة يا حجة، وكنت أبحث عن جهاز بسعر جيد.
دخل الغرفة دون استئذان ووضع الجهاز على الأرض وخلع معطفه الغارق في قطرات المطر، ثم نشف يديه وقام بتركيبه.

كنت أستند على الباب حتى تعبت فجلست على السرير أراقبه وهو يتم عمله.
-سأقوم بتحميل الويندوز وبعض البرامج الأخرى لتشغيله وسيستغرق بعض الوقت، وأنا أريد كوب من الشاي لكي أستطيع مواصلة عملي.
قمت واهنة متعبة فأنا لم أضع في جوفي أي شيء من البارحة، حتى الماء صمت عنه دون قصد، فأخرجت من الثلاجة نوعين من الجبن ورغيف من الخبز وصنعت الشاي ووضعته في الصينية بجانب الطعام وناولته إياها وجلست بجانبه ألوك بعض اللقيمات في فمي.
كان إسماعيل غير ماهر في هذه الأمور التي تتعلق بالبرامج، فكان يهاتف بعض معارفه بين الحين والآخر ليملي عليه كيفية تشغيل هذه البرامج فاستغرق من الوقت أطول من المعتاد، ساعتين ونصف، ومع دقات كل دقيقة من هاتين الساعتين كنت أشعر بذبح في صدري.
(7-44-2)

-انتهيت، يا حجة.
كلمات كانت مثل الشهد في حلاوته، فاقتربت مسرعة وأردفت ويدي ترتجف
-والآن علمني كيف أقوم بالبحث على شبكة الإنترنت.
قال وهو يشير إلى الشاشة المضاءة أمامنا
-أنظري، ستضغطين على محرك البحث هذا، ثم ستكتبين في هذا المستطيل أي شيء تريدينه وبعدها بلحظات ستظهر لك النتائج، ولكن بالطبع هناك بعض الأشياء لا يعرف نتائجها جوجل، فصديقي كان يريد أن يعرف إذا كانت خطيبته تخونه أم لا فسأل جوجل هل تخونني سعاد أم لا؟. ضحك بصوت عالي ولكني لم أضحك، كنت قلقة بعد كل هذا الوقت أن لن أجد إجابة على تساؤلاتي، ولن أجد حل للعنتي.
قام من على كرسيه وجلست مكانه، ظللت فترة أنظر للحروف والأرقام أمامي، استغرقت وقتا لكي ابحث عن حرف الدال ومررت عيني على باقي الحروف لكي أبحث عن حرف الميم حتى كدت أقسم أنهم نسيوا وضعه في لوحة المفاتيح حتى وجدته بعد

معاناة، سمعت صوت زفير خلفي، كان إسماعيل مازال واقفا ينفث الهواء في ضيق فقلت له
-شكرا يا إسماعيل، يمكنك الذهاب الآن.
كشر عن أنيابه وقال بصوت عال
-الذهاب إلى أين لامؤاخذة، أنتِ لم تعطيني مليم يوحد ربنا، حتى فارق السعر بين الجهاز القديم والجديد الذي اشتريته لكِ.
-عذرًا، لقد نسيت، سأعطيك مالك، كم ثمن الفرق بين الجهاز الجديد والقديم؟.
-4000 جنيهًا، وهذا أفضل سعر في السوق. قالها وهو يحك أنفه ومتجنبا النظر لعيني مما أكد لي أنه يكذب وأن السعر أقل من هذا، ولكني قمت دون تردد واتجهت للغرفة المجاورة تاركة إياه يفرك في يديه في حماس، عدت ومددت يدي إليه بظرف يحمل 7000 جنيها وأبقيت 3000 لي آملة أن يمنحني الله فرصة ثانية في الحياة، ظل يعد فيهم مرارا غير مصدقا ما يحمله بين يديه وقد سال لعابه، خرج من البيت وهو يردد
-ربنا يطيل في عمرك يا حجة، ربنا يحفظك من كل سوء يا حجة.

أغمضت عيني فكم احتجت لهذه الدعوات.
ارتجفت يدي مرة أخرى من التوتر وجلست أكتب على محرك البحث بعد مرور الكثير من الوقت في محاولات مضنية في البحث عن حروف جملة (دمية ملعونة)، وجدت نتائج بحث عدة عن قصص حقيقية لدمى ملعونة، وقصص أخرى تم تأليفها، غصت بينهم، اتنقل من صفحة لأخرى، أقرأ مقالا تلو الآخر، قصص وحكايات لو كنت قرأتها سابقا لظننتها من الأساطير إلا أنني أعيشها بحذافيرها الآن، فركت عيني في تعب وطرقعت أصابعي ولمحت الساعة الموجودة على جانب الشاشة من الأسفل، مرت ساعة ونصف.
(13-55)
يا إلهي، قمت فزعة، أتحرك دون وجهة كالطير الذبيح، حتى سمعت جلبة خارج الغرفة، جلبة في الردهة، ورغم الظلام إلا أنني استطعت تمييز من دخل البيت، سماح!
ترك إسماعيل الباب مفتوحًا ناسيًا، وانشغلت أنا داخل الغرفة في البحث عن حل لهذه اللعنة، فدخلت سماح متسللة، ربما كانت تريد أن تطرق الباب

فلمحت لعبة ملقاه على الأرض، أخذتها وجريت نحو الأعلى، كدت أركض خلفها، كدت أحذرها، ولكن ربما هذا هو الخلاص الذي كنت أبحث عنه، سأتخلص من لعنتي ومن سماح أيضا، سأضرب عصفورين بحجر، ابتسمت في خبث، ربما من أرسلها لي في بادئ الأمر كان يريد أن يتخلص من لعنته ومني، ولكنه كان أذكى، فلم يحمل عبء الانتظار، ليبحث عن حل، فقط بحث عن ضحية مناسبة تستحق الموت.

أغلقت الباب، وتخيلت سماح وهي تفتح الصندوق الخشبي، وتدير الزنبرك وتنظر للشاشة الصغيرة وهي تتلاعب في عداد عمرها غير فاهمة ما يحدث، عمرًا طويلًا كان في انتظارها ولكني سمحت بأن يُسلب دون ندم.

أعددت كوبًا من القهوة وجلست أمام تلفازي أتدفأ بالشال الصوف الكحلي، وضحكت ضحكًا مضاعفًا وأحداث المسلسل الكوميدي تبدأ، ولكني شعرت بوخز مثل مئات الإبر تُقفَز داخل قلبي، وشهقت وأنا أحاول أن أتنفس.

(10)

ربما تأخرت سماح في فتح الصندوق

(7)
ربما لم تستطع تدوير الزنبرك أو لم تره

(5)
سقطت على الأرض وأنا أنتفض وقلبي يتمزق من اليد التي تعتصره، لمحت الصندوق تحت الكرسي المقابل لباب الشقة، لم تمسسه سماح، لقد أخذتْ شيئًا آخر، وتركت لعنتي.

2
1
0

_ تمت_